شَرْحُ كِتَابِ الإِيْمَانِ مِن صَحِيْحِ الْبُخَارِيِّ

لِسَمَاحَةِ الشَّيْخِ العَلَّامَةِ
عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ جِبْرِيْنٍ

ـ حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى ,وَرَعَاهُ ـ

[أشرطـة مفرغـة، لم يراجعها شيخنا]

قام بتنسيق الشَّرح ونشره :

سَلْمَانُ بْنُ عَبْدِ القَادِرِ أَبُوْ زَيْدٍ

ـ سَدَّدَهُ اللَّهُ فِيْمَا يُخفِي وَيُبْدِيْ إِنَّهُ بِكُلِّ خَيْرٍ كَفِيْلٌ وَعَلَى كُلِّ شَيٍ وَكِيْلٌ ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قالَ الإمامُ أبو عبد اللَّـهِ محمَّد بن إسماعيلَ بن إبراهيمَ بن المغيرة البُخاريُّ رحمه الله تعالى آمين.

كِتَابُ الإِيْمَانِ

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ »

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ ،وَهُوَ قَوْلٌ وَفِعْلٌ وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ قَالَ اللَّـهُ تَعَالَى : ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ ﴿ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ ﴿ وَيَزِيدُ اللَّـهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ وقال: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ ﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾

وَقَوْلُهُ : ﴿ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ وَالْحُبُّ فِي اللَّـهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّـهِ مِنْ الْإِيمَانِ.

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ : إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِضَ وَشَرَائِعَ وَحُدُودًا وَسُنَنًا ، فَمَنْ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلْ الْإِيمَانَ، فَإِنْ أَعِشْ فَسَأُبَيِّنُهَا لَكُمْ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا ، وَإِنْ أَمُتْ فَمَا أَنَا عَلَى صُحْبَتِكُمْ بِحَرِيصٍ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : ﴿ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾

وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : الْيَقِينُ الْإِيمَانُ كُلُّهُ.

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ التَّقْوَى حَتَّى يَدَعَ مَا حَاكَ فِي الصَّدْرِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ ﴿ شَرَعَ لَكُمْ ﴾ : أَوْصَيْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ وَإِيَّاهُ دِينًا وَاحِدًا.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : ﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ : سَبِيلًا وَسُنَّةً.

﴿ دُعَاؤُكُمْ ﴾ إِيمَانُكُمْ لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ وَمَعْنَى الدُّعَاءِ فِي اللُّغَةِ : الْإِيمَانُ .

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّـهِ بْنُ مُوسَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ خَالِدٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمَا- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : « بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّـهِ ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالحَجِّ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ».

« **الشَّـرْحُ** » :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بدأ البخاري رحمه الله بعد المقدمة؛ بدأ كتابه بكتاب الإيمان، وهكذا مسلم بدأ كتابه بعد المقدمة بكتاب الإيمان، وذلك لأنه وقع الخلاف حتى بين أهل السنة في مسمى الإيمان؛ حيث ذهب مرجئة الفقهاء إلى أن الإيمان هو التصديق فقط، وذكروا أن الأعمال ليست من مسمى الإيمان، وأنكروا أن يكون الإيمان يزيد وينقص، وجعلوا كل من صدَّق فإنه مؤمن كامل الإيمان، ولو كان قد فعل المعاصي والمحرمات وما أشبهها، وصار هذا تسهيلا في أمر المعاصي؛ أن العاصي يقول: إيماني كامل ولا تضرني ولا تُنَقِّصني هذه المعاصي، فكان هذا تسهيلا في أمر المعصية.

فعند ذلك انتبه المحدِّثون وأهل السنة وقالوا: لا بد أن نذكر الأدلة على أن الأعمال داخلة في الإيمان؛ أن الأعمال من مسمى الإيمان، وأن الناس يتفاوتون في الإيمان، وأن المؤمنين الكُمَّل فوق المؤمنين الذين قد نقص إيمانهم وهكذا؛ فمنهم من أفرد كتاب الإيمان مثل ابن أبي شيبة وهو شيخ البخاري وصاحب المصنف المطبوع، فإنه كتب رسالة في الإيمان مطبوعة، ولكنه اعتمد فيها على الآثار؛ كلها آثار ونُقول وأدلة، وهكذا أيضا كتب أبو عبيد القاسم بن سلام رسالة أيضا في الإيمان؛ بين فيها الأدلة، وناقش فيها ما ذكره مرجئة الفقهاء ونحوهم، وهي أيضا مطبوعة مفردة، ومطبوعة مع رسالة ابن أبي شيبة وجاء بعدهم من توسع مثل الإمام محمد بن إسحاق بن مَنده أفرد كتاب الإيمان في كتاب كبير طبع في ثلاثة مجلدات؛ أكثر فيه من الأحاديث ومن الأدلة ومن الآيات ومن النقول، وبيَّن فيه معتقد أهل السنة والجماعة.

ولما كان هذا من أهم صفات المؤمن؛ وهو اعتقاده أن الأعمال من مسمى الإيمان، عند ذلك اهتم به البخاري رحمه الله، وقدمه قبل كتاب الصلاة، وقبل كتاب الطهارة، وذلك لأنه أمر يتعلق بالعقيدة؛ فلا بد أن يُستوفى، ولا بد أن تذكر الأدلة التي ترسخ عقيدة المسلم في قلبه.

ثم رُوِي عن البخاري رحمه الله قال: إني رويت في هذا الكتاب عن نحو ثلاثمائة شيخ كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل؛ أي: لم يرو عن أحد من الذين يقولون: إن الأعمال ليست من الإيمان، ما روى عنهم، وكأنه رأى أن قولهم يقدح في عدالتهم؛ لأن من يقول ذلك فإنه قد يسهل في أمر المعاصي ويسهل أمرها؛ فيكون ذلك قدحا في العدالة، وقدحا في

الرواية، وقدحا في الشهادة؛ هذا هو السبب في أنه ما روى إلا عن أهل السنة؛ الذين يقولون: إن الأعمال من مسمى الإيمان.

ذكر في هذا الكتاب كثيرا من الأعمال؛ فيقول: بابٌ الصلاةُ من الإيمان، بابٌ: الزكاةُ من الإيمان، بابٌ: الشهادتان من الإيمان، بابٌ: أداءُ الخُمس من الإيمان، الجهاد من الإيمان، ويذكر على ذلك أدلة.

ثم الإيمان في اللغة: التصديق الجازم. قال الله تعالى عن إخوة يوسف : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا ﴾ أي: بمصدق لنا، وذلك لأنه هو ما يصل إلى القلب من العقيدة؛ الإيمان هو التصديق القوي الذي في القلب؛ ولكن الشرع أدخل فيه الأعمال؛ فأصبحت الأعمال من مسمى الإيمان، وأصبح الإيمان اسما شرعيا من الأسماء الشرعية، وكذلك الإسلام.

الإسلام عند العرب هو: الإذعان والانقياد، وأما في الشرع فأدخل فيه أركانه؛ التي هي الأركان الخمسة في هذا الحديث فأصبح مسمى شرعيا؛ كما أن الشرع نقل كثيرا من المسميات وجعلها مسميات شرعية؛ فيقول الشراح: الصلاة لها مسمى في اللغة، ولها مسمى في الشرع، والوضوء له مسمى في اللغة، ومسمى في الشرع، والتيمم له مسمى في اللغة، ومسمى في الشرع؛ فهكذا أيضا الإيمان في اللغة: التصديق، وفي الشرع: الإيمان: قول وفعل واعتقاد، قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، أو الإيمان: قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان، فهذا مسمى الإيمان.

كما أن ضد ذلك أيضا أي له مسمى؛ الكفر عند العرب هو: جحد الشيء، الكفر في الشرع هو: إنكار الرسالة وإنكار التوحيد؛ أي: جحد ذلك، الشرك في اللغة: الاشتراك بين اثنين في شيء، الشرك في الشرع هو: دعوة غير الله معه أو إشراك غير الله معه في نوع من أنواع العبادة، النفاق في اللغة: إخفاء الشيء، النفاق في الشرع هو: إظهار الإيمان وإخفاء الكفر، فدل على أن هناك مسميات كانت في اللغة تعرف في معنى فالشرع نقلها إلى معنى أخص؛ فعلى هذا الإيمان له مسمى في اللغة، ومسمى في الشرع.

ثم الذين قالوا: إنه باق على مسماه في اللغة هم الحنفية، وذلك لأنهم يتمسكون بما نقل عن أبي حنيفة حرفيا، وحيث إنهم نقلوا عنه أن الإيمان هو التصديق فتمسكوا بذلك؛ فلأجله لا يحيدون عن ذلك؛ بل يتمسكون به ويتأولون الأقوال الأخرى، فكان هذا هو الذي حملهم على أنهم أظهروا هذه العقيدة؛ أن الإيمان هو التصديق فقط، وسُمُوا مرجئة؛ لأنهم يغلبون جانب الرجاء، وذلك لأنهم إذا قالوا: إن الإيمان هو التصديق فقط؛ فالمعاصي ما تنقص الإيمان، والطاعات ما تزيد الإيمان؛ فيكون عندهم يغلبون جانب الرجاء على الخوف، وهذا خطأ؛ بل الواجب على المسلم أن يجمع بين الخوف والرجاء، أن يكون خائفا وراجيا في وقت واحد، ثم إن بعض العلماء استحبوا في حال الصحة تغليب الخوف، وفي حالة المرض تغليب الرجاء، وقد بسطوا ذلك في كتب العقائد وكذلك في كتب التوحيد، وذكروا الأسباب لهذا ولهذا.

فعلى هذا نقول: هل الخلاف بين أهل السنة وبين المرجئة لفظي أو معنوي؟

يقول بعضهم: إنه لفظي وأنه لا يضر، والصحيح أنه خلاف معنوي، وقد تكلف بعض الحنفية في محاولة أن الخلاف لفظي.

الطحاوي صاحب الطحاوية من الحنفية لما ذكر الإيمان في عقيدته الطحاوية كأنه لم يستطع أن يخرج عما كان عليه الأحناف فقال: إن الإيمان هو التصديق، وأن الناس لا يتفاضلون في الإيمان، وأهله في أصله سواء، وإنما التفاضل في الأعمال، والأعمال ليست من مسمى الإيمان. وعلى هذا شرح كثير من الأحناف؛ الذين شرحوا هذه العقيدة، وجعلوا الأعمال ليست من مسمى الإيمان، وكلهم على ما كانوا عليه إلا ابن أبي العز الذي شرحه موجود، والذي طبع مرارا، والذي يدرس في الجامعات؛ هذا الشارح ابن أبي العز رحمه الله حنفي المذهب؛ ولكنه تتلمذ على ابن كثير شافعي المذهب وابن كثير تتلمذ على ابن تيمية حنبلي المذهب.

وتأثر ابن كثير بشيخه في العقيدة، ومن جملة ذلك مسألة الأسماء والصفات، وتأثر ابن أبي العز بشيخه ابن كثير ؛ الذي تأثر بابن تيمية وصار يعتقد معتقد أهل السنة في الأسماء والصفات، ثم إنه شرح هذه الرسالة، وأكثر في شرحها من النقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية وعن تلميذه ابن القيم ولما أتى على هذا الباب الذي هو الإيمان لم يستطع أن يخالف معتقده؛ يعني معتقد الحنفية؛ لأنه كتبه للحنفية؛ كأنه يقول إن الطحاوي على المذهب الصحيح؛ فأنتم أيها الأحناف: عليكم أن ترجعوا إلى ما قاله؛ فتوسع رحمه الله في الأسماء والصفات، وفي صفات إثبات العلو والفوقية، ولكن لم يستطع أن يخالف ما صرح به الطحاوي في مسألة الإيمان. ذكر أن الإيمان هو التصديق، وقال: إن الخلاف لفظي، وأخذ يذكر أدلة، ولم يصنع شيئا، فإن الخلاف معنوي.

والحاصل أن البخاري رحمه الله تعالى ابتدأ كتابه هذا بعد المقدمة بكتاب الإيمان لأهميته، ثم إنه صرح في مقدمته بقوله: وهو قول وفعل؛ يعني: زائد على الاعتقاد، وهذا هو قول أهل السنة؛ أنه قول يعني: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، أو قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، وأن الأعمال من مسمى الإيمان؛ سواء أفعالا أو تروكا، وأنها تزيد في الإيمان، تزيد في اسمه، وتزيد في معناه، وأن الإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، واستدل البخاري رحمه الله بهذه الأدلة من القرآن، الأدلة كثيرة؛ منها في سورة آل عمران قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا** ﴾ صريح أنه زادهم إيمانا، وأن من الإيمان قولهم: حسبنا الله ونعم الوكيل؛ فهذه اللفظة من جملة الإيمان مع أنها كلام.

كذلك من الأدلة قوله تعالى في سورة الأنفال يقول: ﴿ **وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا** ﴾ **فجعل** هذا كله من الإيمان، فأخبر بأن الآيات إذا تليت عليهم زادتهم إيمانا؛ أي: عملوا أعمالا صالحة فزاد بها إيمانهم، من الأدلة الآيات التي ذكر أيضا في آخر سورة التوبة:

﴿ **وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ *وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ** ﴾ ؛ فهذا هو حقيقة الإيمان؛ أخبر بأنه يزيد ﴿ **زَادَتْهُمْ إِيمَانًا** ﴾ وكذلك في

سورة المدثر: ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ ؛ فصرح بأنهم يزدادون إيمانا، وهكذا أيضا الآيات في زيادة الهدى: ﴿ زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ الهدى من الإيمان، زَادَهُمْ هُدًى ؛ الاهتداء في الأصل هو: الاستدلال، أو كون الإنسان على دليل واضح، فجعل الله الاهتداء أيضا يزيد، وهو من الإيمان، وغير ذلك من الآيات، ﴿ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ ونحوها؛ هذا أدلة زيادة الإيمان.

ثم ذكر هذه الآثار التي نقلها عن السلف رحمهم الله، وأنهم ذكروا ما يدل على أن الأعمال من الإيمان، أثرُ ابن مسعود يقول: الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله، فجعل الصبر من الإيمان، الصبر الذي هو التصبر على الطاعات ونحوها والصبر على المصائب. الصبر نصف الإيمان؛ يعني أن من صبر فقد حصل على نصف الإيمان؛ وذلك لأنه يصبر عن المعاصي ويصبر على الطاعات، واليقين الذي هو العقيدة الإيمان كله؛ وذلك لأن العقيدة التي هي اليقين تحمل على العمل؛ تحمل على الانبعاث، وتنبعث لأجلها الجوارح فتعمل أعمالا صالحة، وهكذا ما روي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه ذكر أن للإيمان أركانا وحدودا وشرائع؛ يعني أن الإيمان الذي هو دعا إليه الرب تعالى وأمر الناس بالإيمان به أن له حدودا؛ يعني تعاليم وله مكملات وله شرائع؛ يعني: له مكملات تصير تابعة له، وله شرائع يعني أعمال، وله حدود يعني نهايات.

يقول: فإن أعش فسأبينها لكم، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص. هذا كتابه إلى عدي بن عدي أحد عماله، وكأنه ينصحه ويقول له: تعلموا هذه الأركان؛ أركان الإيمان، وتعلموا حدوده، وتعلموا تعاريفه، وتعلموا فروعه وأصوله وشرائعه؛ حتى تعملوا بها، فجعل هذه كلها من الإيمان، وكذلك ما روي في تفسير قول الله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ أي كلها من الإيمان، الشرعة والمنهاج، السبيل والسنة، سبيلا يعني: تسيرون عليه، وسنة يعني طريقة تعملون بها. دلنا ذلك على أن هذا كله داخل في مسمى الإيمان.

وأما قول معاذ اجلس بنا نؤمنْ ساعة فيريد بذلك: نعمل أعمالا تكون هذه الأعمال من الإيمان؛ يقول: اجلس بنا حتى نذكر الله ونحمده، ونتفكر في آلائه، ونشكره على عطائه، ونسأله المزيد من فضله، وذلك مما يزيد إيماننا، ومما يكثر أعمالنا؛ فيكون ذلك من الإيمان؛ جلوسهم لذكر الله تعالى.

فإذا جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده فذلك من الإيمان، كما أن ضده من الكفر أو مما ينقص الإيمان، فإذا جلسنا نتذاكر الله نتذاكر نعمه ونبحث في كيفية أداء حقه زاد إيماننا، وإذا جلسنا نغتاب وننم ونستهزئ ونتمسخر ونسب ونشتم نقص إيماننا، وإذا مشينا إلى المساجد لأجل الصلاة أو لأجل الاستفادة كانت خطواتنا زيادة في الإيمان، وإذا مشينا نحو الملاهي ونحو الرقص واللعب والغناء والزمر ونحو ذلك كان ذلك نقصا في الإيمان، وإذا نظرنا مثلا إلى شهوات الدنيا وأعجبنا بها مثلا أو نظرنا إلى صور فاتنة ونحوها نقص إيماننا، وإذا نظرنا في المصاحف وفي كتب العلم زاد إيماننا، وإذا استمعنا إلى ذكر الله تعالى في خطب أو مواعظ أو نحو ذلك زاد إيماننا، وإذا استمعنا إلى اللهو واللعب واستمعنا إلى القيل والقال، واستمعنا إلى الغيبة والنميمة ونحو ذلك نقص إيماننا.

وإذا أنفقنا مالا مما أعطانا الله تعالى في إكرام مسلم أو في صدقة على ذي حاجة زاد إيماننا، وإذا أنفقنا ذلك في اللهو واللعب وآلات الغناء وآلات التصوير وفي الصور ونحوها نقص إيماننا؛ فيتفكر الإنسان في الشيء الذي يزيد إيمانه والذي ينقصه؛ فيحرص على ما يزداد به، ويحرص على الابتعاد عما يخل بإيمانه، فهذا هو الأصل.

حديث ابن عمر هذا: « **بني الإسلام على خمس** » قد تقول: ما مناسبته مع أن الكتاب للإيمان؟ فنقول: إن أعمال الإسلام داخلة في الإيمان؛ فإنها كلها من الإيمان، وسيأتينا حديث وفد عبد القيس؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: « **آمركم بالإيمان بالله؛ أتدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة.** » فجعل هذه من الإيمان، فهي من الإيمان ومن الإسلام.

أركان الإسلام الخمسة مشهورة؛ يلقنها الأطفال في الدراسة الابتدائية، أن أركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله إلى آخره، وأن الإسلام بني منها. والشهادتان هما الأساس؛ بمنزلة أساس الدار وسقفها، وبقية الأركان بمنزلة الأركان؛ يعني الزوايا؛ زوايا المنزل ونحوه، وشرح أركان الإسلام يطول بنا؛ ولكن أَوْرَدَهُ للدلالة على أن الإسلام والإيمان متناسبان، وإن كان في ذلك خلاف بين العلماء سيذكر البخاري بعض الأدلة عليه...

قال رحمه الله تعالى :

بَابُ أُمُورِ الإِيمَانِ

وقول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ ، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ الآية.

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّـهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجُعْفِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّـهِ بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ ـ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ ».

« **الشَّـرْحُ** » :

هذا باب أمور الإيمان؛ يعني: شعبه وخصاله التي مجموعها كمال الإيمان؛ للإيمان أركان عقدية ومكملات عملية، فأركان الإيمان هي الستة في قوله صلى الله عليه وسلم: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره هذه أركان الإيمان؛ يعني الأركان الاعتقادية، وتجدون أن الذين كتبوا في العقيدة شرحوا هذه الستة، وذكروا

ما يدخل فيها؛ فهو دليل على أنهم جعلوا العقيدة هي الأصل، وجعلوا الأعمال متفرعة عن هذه الأصول الستة أو عن هذه الأركان الستة؛ قد استدل عليها من القرآن بآيات، كهذه الآية في سورة البقرة: لَيْسَ الْبِرَّ قرأها بعض القراء: ﴿ ليس البرُّ﴾، ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** ﴾ ؛ البر هو: عمل الأبرار الذين ذكر الله تعالى أن لهم الجنة: ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ** ﴾ ؛ فمن عمل بهذه الأعمال صدق عليه أنه بَرّ، ومن تركها فهو من الفجار، ﴿ **وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ** ﴾ .

ذكر الله تعالى خمسة أركان في هذه الآية ﴿ **وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ** ﴾ هذه خمسة؛ يعني: من آمن بالله؛ يعني إلها وربا وخالقا، ووصفه بصفات الكمال، وآمن باليوم الآخر؛ يعني صدق بالبعث بعد الموت، وبما فيه من الحساب والجزاء على الأعمال، وآمن بالملائكة؛ يعني صدَّق بأنهم ﴿ **عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ** ﴾ وصدَّق بالكتب المنزلة، ومنها هذا القرآن الكريم؛ صدق بأنه كلام الله، وصدق بأن الكتب على الأنبياء كلامه، وأنها متضمنة لشرعه، وصدق بالنبيين؛ يعني بالمرسلين جميع المرسلين الذين أرسلوا؛ أرسلهم الله، وقص علينا شيئا من قصصهم؛ أي يعني أيقن بصحة رسالتهم، وبأنهم حملوا الشريعة، وجاءوا بها إلى أممهم.

ذكر بعد ذلك خصالا تعتبر من الإيمان منها النفقة؛ مع أنها من أركان الإسلام كالزكاة، ولكنه ذكر أن النفقة هاهنا فيما يظهر صدقة تطوع وبر، ولهذا قال: ﴿ **وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ** ﴾ يعني: أخرج المال حال كونه يحبه، لأن من طبع الإنسان أنه يحب ماله، قال تعالى: ﴿ **وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا** ﴾ أي: حالة كونه يحبه، ولكن آثر رضا الله تعالى فأعطاه على حبه، كما قال تعالى: ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** ﴾ وهاهنا ذكر ستة أو نحوهم ﴿ **وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى** ﴾ بدأ بالأقارب يعني: أعطاه ذوي القربى، واليتامى، والمساكين، والسائلين، وفي الرقاب؛ يعني: أعطى هؤلاء من المال مع كونه يحب المال طبعا، وهؤلاء من المستحقين؛ اليتامى والمساكين، وكذلك أيضا ذوي القربى المستحقين، وكذلك السائلين؛ الذين يسألون الناس من المال، وكذلك الرقاب؛ يعني: أعتق منه رقابا كانت مملوكة، وذكر بعد ذلك الموفون بعهدهم إذا عاهدوا، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، وذكر قبل ذلك إقامَ الصلاة، وإيتاءَ الزكاة، فكل ذلك داخل في مسمى الإيمان؛ لأنه من البر، والبر هو الإيمان، ولأنه من التقوى؛ والتقوى من خصال الإيمان. ختم الله تعالى الآية بالتقوى في قوله: ﴿ **وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾.

وأما هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: « **الإيمان بضع وستون شعبة** » وفي رواية عند مسلم : « **بضع وسبعون** » يعني خصال الإيمان التي إذا تكاملت كمل الإيمان؛ فالإيمان يتكون من هذه الخصال. بضع؛ يعني قيل: سبع، وقيل تسع، وقيل خمس، خمس وسبعون أو سبع وسبعون أو تسع وسبعون شعبة؛ يعني خصلة من خصال الإيمان، وقد كتب كثير من العلماء في خصال الإيمان ..وأثناءه تسمى شعبه، ومن أوفى من كتب في ذلك الإمام البيهقي رحمه الله في كتابه الذي سماه شعب الإيمان؛ فإنه تتبع كل ما جاء من الخصال الدينية؛ أفعالا وتروكا، وكتبها في هذا الكتاب الذي بلغ سبعة مجلدات؛ يعني لما طبع محققا؛ كلها في خصال الإيمان؛ مع أن الأولين قد ذكروا أيضا كثيرا منها، فيقال مثلا: الصلاة شعبة من الإيمان،

والزكاة شعبة من الإيمان، والقراءة من الإيمان، والذكر من الإيمان، والدعاء من الإيمان، والنصيحة من الإيمان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، ورد السلام، وتشميت العاطس، وعيادة المريض، وأشباه ذلك.

ذكر في هذا الحديث قال: « **أعلاها قول لا إله إلا الله** » مع أنها كلام؛ كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله هذا من القول؛ ولكنه دليل على أن القول داخل في مسمى الإيمان، « **أعلاها قول لا إله إلا الله** » ؛ هذا قول، « **وأدناها إماطة الأذى عن الطريق** » هذا فعل؛ يعني: إذا وجدت شوكة أو وجدت عودا مثلا في الطريق أو حجرا فأمطته عن الطريق حتى لا يتأذى به الذي يمر وهو غافل؛ فإن هذا نفع للمسلمين؛ فلك أجر ويزيد بذلك إيمانك؛ إماطة يعني: إزالة الأذى عن الطريق كحجر أو عود أو نحو ذلك.

« **والحياء شعبة من الإيمان** » الحياء: خلق قلبي يحمل على فعل ما يُجَمِّل ويزين، وعلى ترك ما يدنس ويشين. من الأخلاق التي يمدحها الإسلام ويثني على أهلها، ويذم من فقدها؛ كقول النبي صلى الله عليه وسلم: « **إن مما أدرك الناس من النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت** » ؛ فجعل الحياء مع أنه قلبي من الإيمان، وجعل الشهادة مع أنها لفظي من الإيمان، وإماطة الأذى مع أنه فعلي يعني: عمل أركان جعله من الإيمان.

وهناك رسالة مطبوعة مختصرة اسمها شعب الإيمان، ذكر مؤلفها نحو سبعة وسبعين خصلة؛ منها أفعال: كالصلاة والزكاة، ومنها تروك: مثل ترك الزنا، وترك الربا مثلا، وترك الغش، وترك الخمر مع وجود الدوافع والدواعي، وجعل ذلك كله من خصال الإيمان.

حقا أن الحديث ذكر أنها بضع وستون، وفي رواية مسلم بضع وسبعون؛ فقال بعض العلماء: إنما هذا للتكثير وليست منحصرة في هذا العدد؛ قد يوجد زيادات وقد يوجد إضافات، ولكن يظهر أنها للتقريب؛ أن ذكر ثلاثا وسبعين أو خمسا وسبعين؛ يعني بضعا وسبعين ذِكرُه لأجل الإشارة إلى كثرة الخصال؛ أنها خصال كثيرة، سواء انحصرت في ثنتين أو ثلاث وسبعين، أو زادت على ذلك أو نقصت. الحاصل أن خصال الإيمان كثيرة، وأنها دليل على أنها ليست مجرد التصديق بالقلب.

قال رحمه الله تعالى:

بَابٌ : الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ.

حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ عَبْدِ اللَّـهِ بْنِ أَبِي السَّفَرِ ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّـهِ بْنِ عَمْرٍو ـ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمَا ـ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّـهُ عَنْهُ ».

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّـهِ : وَقَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ هُوَ ابْنُ أَبِي هِنْدٍ ، عَنْ عَامِرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّـهِ يَعْنِي ابْنَ عَمْرٍو ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ عَبْدُ الأَعْلَى ، عَنْ دَاوُدَ ، عَنْ عَامِرٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّـهِ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

« **الشَّـرْحُ** » :

قد ذكر العلماء فرقا بين الإسلام والإيمان؛ ولكن كأن هذا الفرق عندما يجتمعان؛ كما في حديث جبريل الذي سيأتي إن شاء الله، فقد ذكر فيه الإيمان والإسلام، فيقولون: إذا ذكر الإسلام والإيمان فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بأعمال القلب، وأما إذا اقتُصر على واحد فإنه يدخل فيه الجميع، فإذا قيل: هذا مؤمن؛ دخل فيه الإسلام؛ دخلت فيه فعل الصلاة وإقامتها وأداء الزكاة والشهادتان ونحو ذلك؛ أي أن ذلك كله داخل في خصال الإيمان؛ هذا من جملة خصال الإيمان، وكذلك خصال الإسلام؛ إذا اقتُصر عليها دخل فيه التصديق، ودخل فيه العقيدة؛ كلها أيضا من الإسلام، وإذا ذكر بعض الخصال فلا يدل ذلك على الحصر، وإنما يدل على أن هذا جزء منه.

في هذا الحديث ذكر خصلة من خصال الإسلام: « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه** » فهل تقول إن الإسلام فقط هو من سلم المسلمون من لسانه ويده؛ فلا تكون الصلاة من الإسلام ولا الزكاة، ولا الصوم ولا الحج ولا العمرة ولا الجهاد؟ الجواب: أنه أراد بذلك ذكر خصلة من خصال الإسلام، أو أراد بذلك علامة من علامات المسلم: أنه في الحقيقة هو الذي يكف شره عن الناس؛ أي عن المسلمين؛ فيكفّ لسانه فلا يعيب أحدا ولا يثلب ولا يغتاب، ولا يقذف ولا يشتم ولا يلعن، ولا ينم ولا يؤذي بلسانه؛ بل يكف لسانه عن ذلك كله؛ فيكون بذلك قد سلم المسلمون من لسانه، وكذلك أيضا يكف يده، فلا يعتدي على أحد؛ لا بقتل ولا بضرب ولا بجلد ولا بنهب ولا بغير ذلك، فهذا متى كان كذلك أصبح أنه مسلم؛ يعني: مستسلم منقاد لأمر الله، يحترم المسلمين ويعرف حقهم، وإذا عرف حقهم فما الذي حمله؟ حمله على ذلك ما في قلبه من التصديق القوي؛ فيكون بذلك هذه الخصال علامة على أنه مؤمن؛ لأنه إذا كف شره عن الناس؛ فبطريق الأولى أن يكف نفسه عن المعاصي؛ فلا يستحل شيئا من حقوق غيره من الكفار ونحوهم. لا شك أن هذا هو الخصلة الظاهرة للمسلم.

ثم عرَّف المهاجر: من هجر ما نهى الله عنه؛ لأن الهجر هو بغض الشيء وتركه، ومنه سمي المهاجر الذي أبغض بلده لكونها بلاد كفر، وانتقل منها إلا بلاد الإسلام؛ فإنه أيضا يسمى مهاجرا، وذلك من الهجر؛ لأنه هجر بلده، وحيث إن الهجرة إنما هي خاصة بمن انتقل من بلد الكفر إلى بلد الإسلام؛ فنقول: كذلك أيضا من هجر ما نهى الله عنه مع وجود الدوافع فإنه يصدق عليه أنه هاجر أو هجر، فإذا دعته نفسه إلى القتل أو إلى الكبر، أو إلى البطش بالمسلمين أو إلى الظلم،

أو إلى السلب والنهب أو إلى الاغتياب والتنقص، أو دعته إلى فاحشة؛ دعته إلى زنا أو إلى ربا أو إلى خمر أو نحو ذلك؛ فإنه يكف نفسه ويمسكها ويهجر هذه المحرمات، ويعلم أن في فعلها إثما؛ فيكون بذلك له أجر المهاجر.

بَابٌ : أَيُّ الإِسْلَامِ أَفْضَلُ ؟

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقُرَشِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بُرْدَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِي مُوسَى ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ ، قَالَ : قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ الإِسْلَامِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : « مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ ، وَيَدِهِ ».

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا اللَّيْثُ ، عَنْ يَزِيدَ ، عَنْ أَبِي الْخَيْرِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ : أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : « تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ ».

« الشَّـرْحُ » :

هذه أيضا من خصال الإسلام ومن خصال الإيمان. كان النبي صلى الله عليه وسلم يجيب كل سائل بما يناسبه؛ فلأجل ذلك اختلفت هذه الأجوبة؛ فمرة قال: « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده** » لعله ينصح إنسانا يتعدى على الناس؛ يتعدى على أعراضهم، وعلى دمائهم، وعلى أموالهم، وعلى محارمهم؛ فيحثه على أن يكف نفسه؛ فجعل هذا هو المسلم؛ فكأنه يقول: أيها الظالم كف نفسك، فإنك لا تكون مسلما إلا إذا سلم المسلمون من لسانك؛ بعيب أو ثلب أو نحو ذلك، وسلم المسلمون من يدك؛ بأن لم تتعد عليهم؛ فإذا لم يسلموا فإنك لم تحقق صفة الإسلام.

إذا كنت تمد يدك وتمد لسانك، إذا كنت تتكلم في المسلمين؛ عيبا وقدحا وسخرية ونحو ذلك، أو تضرهم بيدك؛ تنهب أموالهم أو تجحدها، أو تضرب من قدرت عليه سواء باليد أو بآلة أو نحوها؛ فأنت قد نقضت إيمانك ونقصت إسلامك.

وسأله آخر عن الإسلام فأرشده إلى هذا الجواب، وذكر له رد السلام وإطعام الطعام؛ فقوله: تطعم الطعام؛ كأن الذي سأله عنده جِدَة وعنده ثروة ومال، وكأنه أيضا لاحظ عليه عدم رد السلام، أو عدم ابتداء السلام؛ فجعل هذه من خصال الإسلام، ومن خصال الإيمان.

يقول: « **تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف** » إطعام الطعام؛ يعني الصدقة أي: تتصدق على الفقراء وعلى المساكين وعلى المستضعفين؛ بأن تصلح لهم طعاما، وتدعوهم فيأكلوا حتى يشبعوا، أو تعطيهم ما يكفيهم في منازلهم، ويختص هذا بمن قصد بذلك الأجر، ويدخل في ذلك أيضا جميع الصدقات؛ صدقة على ذوي القربى، وصدقة

على اليتامى ونحوهم؛ أي المذكورين في الآية الكريمة: ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ كل هؤلاء إذا أطعمتهم، فإن هذا الإطعام من خصال الإسلام، « تطعم الطعام، وتقرأ السلام ». تقرأ السلام؛ يعني: تبتدئ من لقيته بالسلام؛ سواء عرفته أو لم تعرفه، وقد أمر الله تعالى بالسلام في قوله تعالى: ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ يعني: على من كان فيها، فإنهم منكم وإخوانكم؛ فجعل السلام من خصال المسلمين، وقال: ﴿ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّـهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ فرد السلام وابتداؤه من خصال الإسلام، وابتداؤه أفضل؛ ولكن قالوا: الابتداء بالسلام سنة ورده واجب؛ يعني: أنك إذا ابتدأت من لقيته بالسلام فهذه خصلة من خصال الخير؛ فعلتها وسبقته إليها، وأما إذا ابتدأك فإنه يجب عليك أن ترد عليه فتقول: عليكم السلام، أو وعليكم السلام.

قيل: إن السلام كلمة دعاء؛ ولأجل ذلك جاءت في القرآن كثيرا بالتنكير كقوله تعالى: ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ وكذلك في آيات كثيرة: ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ ﴾ ،﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾،﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ ، ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ ﴾ وأشباه ذلك مذكور بكلمة سلام. فتكون دعاء؛ يعني: سلمكم الله؛ سلمكم الله من كل الشرور التي تخشونها، فيكون هذا دعاء؛ لكن إذا جاء معرفا كقوله: ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ وقول عيسى : ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ ﴾ فإن هذا قيل: إنه اسم من أسماء الله؛ من أسماء الله السلام، كما ذكر في آخر سورة الحشر: ﴿ هُوَ اللَّـهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ ﴾ فعلى هذا كأنك إذا قلت: السلام عليكم؛ أي اسم الله عليكم؛ الذي يعمكم بالخير، ويعمكم بالبركة، وأشباه ذلك؛ فتحصَّل أن رد السلام من الإسلام، وكذلك ابتداؤه على من عرفت ومن لم تعرف؛ يعني: على أجنبي لا تعرفه، أو على صاحب تعرف اسمه، وتعرف من هو.

جاء الأمر بالسلام في عدة أحاديث، فذكروا أن ابن عمر رضي الله عنه كان يدخل كثيرا في الأسواق؛ فدخل مرة ومعه الطفيل بن أُبَيِّ بن كعب فقال له الطفيل ماذا تصنع بالسوق وأنت لا تشتري ولا تبيع؟ وكان الطفيل ذا بطن، فقال: يا أبا بطن: إنما ندخل لأجل السلام؛ إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **تسلم على من عرفت ومن لم تعرف** » فأفاد هذا أن السلام سنة؛ يعني ابتداؤه، وأن رده واجب.

بَابٌ : مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ .

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ - ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَنْ حُسَيْنٍ الْمُعَلِّمِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا قَتَادَةُ ، عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ».

« **الشَّـرْحُ** » :

وهذا أيضا من الأعمال القلبية. المحبة عمل قلب، ومن جملتها المحبة الخاصة والمحبة العامة، فمحبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم من الإيمان. تذكرون الحديث المشهور قوله صلى الله عليه وسلم: « **ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه؛ كما يكره أن يقذف في النار** » ؛ فهذا دليل على أن المحبة من الإيمان.

المحبة تطلق على المودة التي في القلب، وتطلق على حب الشيء؛ يعني إيثاره، وهي معروفة في اللغة، ومعروفة في الشرع، وقد كثر الذين تكلموا في تعريفها، عرَّفها كثير من العلماء: منهم ابن القيم رحمه الله؛ ألف كتابا اسمه روضة المحبين ونزهة المشتاقين ذكر فيه تعريف المحبة؛ فذكر نحو ثلاثين تعريفا، وكذلك تكلم عليها في كتابه الكبير؛ شرح المنازل مدارج السالكين، لما أتى على المحبة ذكر تعريفات لها كثيرة، ثم إن كثيرا من العلماء قالوا: المحبة لا تحتاج إلى تعريف، والتعريفات لا تزيدها إلا غموضا؛ فتبقى على ما هي عليه.

في هذا الحديث أخبر بأن المحبة تجب بين المؤمنين، وأنها من خصال الإيمان؛ « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » ؛ يعني: لا يكون كامل الإيمان إلا إذا كان كذلك، والإيمان بلا شك أنه يتفاوت؛ فيكون مؤمنا ولكن ناقص الإيمان إذا كان يكيد لإخوانه، ويحسدهم ويظلمهم، ويعاملهم بما فيه ضرر عليهم؛ فإنه والحال هذه يعتبر ناقص الإيمان، وأما إذا كان يحب لهم الخير، ويدلهم عليه فإنه يعتبر كامل الإيمان، أو فيه خصلة شريفة رفيعة من خصال الإيمان.

وقد أطال العلماء في شرح هذا الحديث؛ بأنه يجب على المسلم أن يحب لإخوانه المسلمين ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، وأن لا يستبد بمصلحة ..ويفسد بها إخوانه؛ يحسد عنها، ثم يدخل في ذلك أمور الدين والدنيا؛ أي: واجب عليك أن تحب لهم ما تحبه لنفسك من أمور الطاعة، فإذا كنت تحب لنفسك أن تكون من المطيعين فكذا لإخوانك، وإذا كنت تحب لنفسك أن تكون من المصلين، ومن المواظبين على الصلاة فكذا للمسلمين.

وإذا أحببت لنفسك أن تكون من المتطوعين؛ الذين يتطوعون بالصلوات وبالصيام ونحو ذلك، أو الذين يتطوعون ويتقربون بالصدقات، والذين مثلا يتقربون إلى الله بمناسك الحج والعمرة، والذين يتقربون إلى الله ويحصلون على حسنات؛ بعملهم الأعمال الصالحة النافعة والمتعدية والقاصرة؛ يعني: كالتسبيح والتحميد؛ تعرف مثلا أنك تحبه لنفسك؛ لأنه حسنات، وكذلك الذكر بأنواعه؛ لأنه حسنات، وكذلك أيضا قراءة القرآن؛ لأن فيها حسنات؛ فأنت تحب هذا لنفسك، فعليك أن تدل عليه إخوانك، وأن ترشدهم إليه، وأن تذكرهم بأن هذا من أعمال الخير؛ أحببته لنفسي وعملت به بقدر استطاعتي، فأنا آمرك أيها الأخ؛ لأني أحب لك الخير وأحب لك ما أحبه لنفسي، فإذا كان كذلك فإنه سيقبل ذلك منك، ويقول: ما نصحني إلا لصداقته ولصدق أخوته، فالمؤمنون إخوة، فهذا أخ لي قد محضني النصيحة.

وكذلك أيضا ضد ذلك؛ تحب لنفسك السلامة من الظلم والسلامة من الاعتداء، تحب لنفسك السلامة من الكبر والإعجاب، تحب لنفسك السلامة من الحسد والبغضاء والعداوة بين المسلمين، تحب لنفسك السلامة من المعاصي؛

السلامة من شرب الخمور وفعل فواحش الزنا ونحوه، وتحب لنفسك السلامة من المعاملات الربوية ونحوها، والسلامة من الغش في المعاملات، والسلامة من الحسد ومن الاختيال، ومن الظلم ومن الغرر في المعاملات وما أشبهها؛ فعليك أن تدل إخوانك على ذلك، وتبين لهم أن هذا محرم، وأن علينا جميعا أن نترك المحرم.

وأما الأمور الدنيوية فهي كذلك أيضا، وهي التي يستبد كثير من الناس بالمصالح الدنيوية. الواجب أنه لا يستبد بذلك، وأن عليه أن يبين الخصال المفيدة، وأن عليه أن يحرص كل الحرص على أن يبذل ما يستطيعه من النفع لإخوانه المسلمين، وألا يحسدهم.

فمثاله: إذا رأيت سلعا فيها ربح فقلت: أختص بها دون غيري، ولا أشرك فيها فلانا ولا فلانا ولا أحدا؛ فإن هذا من الحسد؛ ما أحببت لهم الخير الذي أحببته لنفسك، وكذلك إذا رأيت مثلا مصلحة دنيوية في سلعة من السلع، وفي أجرة أو في تجارة أو شركة، أو وظيفة أو نحو ذلك فقلت: أختص بها، أو أخص بها نفسي وولدي ولا أعطي فيها أحدا؛ فإنك بذلك ما أحببت للمسلمين ما تحبه لنفسك.

الواجب على المسلم أن يحب لنفسه الخير، ويحبه لإخوانه؛ خير الدنيا والآخرة، فالذين مثلا يحسدون الناس عند المصالح الدنيوية ما عملوا بهذا الحديث، وكذلك الذين يستأثرون ببعض المصالح والأرباح والتجارات، وهكذا الذين يضرون إخوانهم، ويضايقونهم في أملاكهم وفي أموالهم ما عملوا بهذا الحديث.

فالحاصل أن هذا الحديث حديث جامع؛ يدخل فيه ما تحبه لنفسك من الطاعة، وما تكرهه لنفسك من المعصية، وما تحبه لنفسك من المنافع الدنيوية، وما تكرهه لنفسك من المضار الدنيوية؛ أن عليك أن تساوي إخوانك في هذه الخصال كلها.

س: ما المراد بنفي الإيمان هنا يا شيخ؟ قوله: « لا يؤمن أحدكم » ما المراد بنفي الإيمان هنا؟

لا يكون كامل الإيمان؛ يعني: مثل الخصال التي تقدمت؛ لا يكون كامل الإيمان، ولا يكون مؤمنا حقا؛ بل إيمانه ناقص، وهذا دليل على أن هذه الأعمال من مسمى الإيمان، وأن من لم يتصف بها فإنه لا يكون مؤمنا حقا؛ بل نقول: إنه مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

بَابٌ : حُبُّ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ الإِيمَانِ.

حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ ، عَنِ الأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ ».

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ ، عَنْ أَنَسٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، ح وحَدَّثَنَا آدَمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ».

« **الشَّـرْحُ** » :

هذا أيضا من خصال الإيمان؛ محبة الله تعالى ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه لا يكون مؤمنا كامل الإيمان إلا إذا قدم محبة النبي صلى الله عليه وسلم على محبة النفس والمال وعلى محبة الولد والوالد والناس كلهم، وإلا فإنه ليس بصادق في إيمانه؛ بل إما أن يكون ضعيف الإيمان، أو يكون مختل الإيمان.

الإيمان الذي في القلب هو الذي تظهر آثاره على الجوارح؛ يكون منه المودة الصادقة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وتقديم محبته على محبة غيره، وإذا قدمت محبته فإنك تطيعه، وكذلك إذا قدمت محبة الله فإنك تعبده، ولذلك من ادعى محبة الله ومحبة رسوله ولم يوافقه ولم يطعه فدعواه باطلة؛ أي: هو كذاب.

ذكروا أن اليهود ادعوا محبة الله، وأنهم أحباؤه؛ فأنزل الله قوله عنهم: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّـهِ وَأَحِبَّاؤُهُ**﴾ فامتحنهم الله بآية في سورة آل عمران؛ قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّـهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّـهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾ وهذه الآية تسمى آية المحنة؛ يعني أن الله امتحن فيها الذين يقولون: إنهم يحبون الله؛ فبين أن محبة الله لها علامة، وهي اتباع هذا النبي الكريم، وكذلك أيضا محبة النبي صلى الله عليه وسلم لها علامات ظاهرة لا بد منها، وهي أنهم يحبون الله، وأنهم يطيعونه، وأنهم يتبعون الرسول النبي الأمي؛ إذا كانوا كذلك فهم صادقون؛ وإلا فدعواهم باطلة.

وقد كثر كلام العلماء كما ذكرنا حول المحبة وعلاماتها، وذكروا أن محبة الله ومحبة رسوله مقدمة على محبة كل الخلق، وذكرنا قول النبي صلى الله عليه وسلم: « **ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان...**» .

... قال: « **لا يا عمر ؛ حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال: والله إنك أحب إلي من كل شيء حتى من نفسي، فقال: الآن يا عمر** » يعني: صدقت.

لا شك أن الصحابة يقدمون محبة النبي –صلى الله عليه وسلم– على أنفسهم؛ ولأجل ذلك يفدونه، يفدونه بأنفسهم، لما أنه –صلى الله عليه وسلم– خطب في آخر حياته، وقال: « **إن عبدا من عباد الله خيره الله بين أن يعطيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده** » فطن لذلك أبو بكر وأن هذا العبد هو النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: يا رسول الله: نفديك بأنفسنا وبأموالنا. فدل على أن هذا غاية المحبة منهم.

وكذلك لما كان في القتال في غزوة بدر، وفي غزوة أحد، وفي الخندق، وفي الأحزاب، وفي حنين، كانوا يحمونه بأنفسهم، يفدونه بأنفسهم؛ حتى أنه كان مرة لما سعى المشركون في أثره ليقتلوه ومعه نحو عشرة من الأنصار، فقال: « **من يردهم وله الجنة؟** » تلقاهم واحد من الأنصار، وقاتلهم؛ حتى قتل. ثم قال: « **من يردهم؟** » حتى قتل العشرة واحدا بعد واحد؛ كل

واحد منهم إذا رآهم قد أرهقوا النبي -صلى الله عليه وسلم- تلقاهم وشغلهم وقاتلهم إلى أن يقتل. ولا شك أن ذلك كله دليل على أنهم يفدونه بأنفسهم؛ أنهم يقدمون محبته على محبة كل شيء من صغير أو كبير.

وكذلك أيضا فدوه بأموالهم، رخصت أموالهم عندهم؛ لما أنه طلب إنفاقها في الجهاد فلم يمسكوها.

وكذلك أيضا رخصت عندهم -أيضا- أنفسهم، وبلادهم، ونحو ذلك. لا شك أن هذا من آثار المحبة.

فيجب على المسلم تقديم محبة النبي -صلى الله عليه وسلم- على محبة كل شيء، وإذا رأيت الذي يعصي الله ورسوله؛ فإنك تعرف بذلك أنه ليس صادقا في محبته؛ بل إن دعواه ليست صحيحة، يقول بعضهم:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه * * * هذا عجيب في الفعال بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته * * * إن المحب لمن يحب مطيع

يعني: أن الذي يحب الله تعالى لا بد أن يطيعه، فإذا رأيته يعصي الله عرفت بذلك أنه ليس صادقا في المحبة. وكذلك إذا جاءته أوامر الرسول -صلى الله عليه وسلم- فتركها ولم يمتثل بها عرفت بذلك أنه ليس صادقا في أنه يحب الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

ثم من علامته -من علامة المحبة- ما ذكرنا من بغض المعاصي، لما سئل ذو النون المصري متى أحب ربي؟ فقال: إذا كان ما يبغضه أمرُّ عندك من الصبر. يعني: من علامات صدق المحبة: أن تبغض المعاصي؛ ولو كانت لذيذة في النفس؛ ولو كانت نافعة؛ ولو كانت شيقة؛ ولو كانت تلك المعاصي تميل إليها النفس كشرب الخمر -مثلا- والزنا، وسماع الغناء، وما أشبه ذلك. إذا علمت بأنها معاصي أبغضتها ونفرت منها؛ ولو كانت النفس تميل إليها، فتكون أمرَّ عندك من الصبر، فهذا علامة المحبة.

محبة الله تعالى ومحبة نبيه -صلى الله عليه وسلم- لا بد أن يقدمها المرء على محبة النفس، ومحبة الشهوات، ومحبة الملذات، ومحبة الأنفس، والأموال، والأولاد، والأهلين، والناس أجمعين.

ومن علاماتها: أن يحب من يحبهم الله، وأن يبغض من يبغضهم الله. فإذا كنت تحب الله أحببت أحباب الله.

في الحديث الذي أشرنا إليه يقول: « **ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله** » يعني: أن تحب المسلم محبة دينية، تقول: أحبه لله؛ لأن الله تعالى يحبه، وأنا أحب الله، ومحب المحبوب محبوب.

كذلك من علاماتها: بغض المعاصي، وبغض الكفر؛ ولهذا قال: « **وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار** ».

فالحاصل.. أن هذه الأبواب فيها كثير من خصال الإيمان يقرؤها المسلم، وعليه أن يحرص على أن يتمثل بها وأن يطبقها؛ ليكون صادقا في دعواه.

نقتصر على هذا. والله أعلم، وصلى الله على محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال الإمام البخاري –رحمه الله تعالى– في كتاب: الإيمان:

بَابُ حَلَاوَةِ الإِيمَانِ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَيُّوبُ ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ ـ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّـهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّـهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ ».

« الشَّـرْحُ » :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

باب حلاوة الإيمان.

الحلاوة: اللذة التي يجدها الإنسان في فمه إذا طعم شيئا له طعم حال. وضدها: المرارة.

فالمذوقات التي توضع في الفم، منها ما هو حلو، ومنها ما هو مر، إن ...الحاليات مثل: التمر، والعسل، والعنب، وغير ذلك من الفواكه والمأكولات اللذيذة التي يحس بطعمها في فمه. وهناك مأكولات أو مطعومات مرة المذاق.

تذكرون الحديث الذي فيه قوله –صلى الله عليه وسلم– : « **مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب** » الأترجة: قريب من البرتقال، طعمها لذيذ حالٍ، يعني: أنواع من البرتقال ونحوه، وكذلك ريحها طيب، « **ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها** » طعمها طيب؛ يعني: حالٍ لذيذة؛ ولكن ليس لها ريح « **ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر** » يعني: رائحتها طيبة، الريحان ونحوه؛ ولكن لا تؤكل، « **ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة** » الحنظل: نبات معروف، يسمى نباته: الحدج ونحوه، هذا النبات، يقول: « **طعمها مر ولا ريح لها** » هكذا أخبر به كمثال.

فعلى هذا.. الإيمان له حلاوة، يعني: له لذة. اختلف العلماء هل حلاوة الإيمان حسية أو معنوية؟

أكثرهم قالوا: إنها معنوية؛ لأن الحلاوة ما يوجد طعمه في الفم، والأعمال هذه لا يوجد لها طعم في الفم، فتكون حلاوة معنوية.

وقال آخرون: إنها حسية، وإن للأعمال الصالحة حلاوة قد تكون أشد من حلاوة الأطعمة الحالية اللذيذة. وذكروا أدلة على ذلك، وهو أن:

كثيرا من السلف يستحلون العبادات، ويستلذون بها، ويجدون لها أثرا في قلوبهم، وفي أجسادهم، فيقول بعضهم: إنه ليمر بالقلب أوقات يرقص فيها طربا. أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب. يجد للطاعة حلاوة ولذة؛ حتى يقول: إذا كان هذا مثل نعيم الجنة إنه لنعيم طيب؛ مع أن هذا في الدنيا.

وكذلك ذكر عن إبراهيم بن أدهم أنه ترك زينة الدنيا، وترك شهواتها، ورضي بشظف العيش، وكان كل يوم طعامه رغيف يابس، يعني: خبزة قد يبست يمكن لها خمسة أيام أو عشرة أيام قد يبست، ويشرب عليها من ماء البحر، ويقول: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف. يعني: أنه يلتذ بهذا العيش، ويلتذ بالعبادة، ويجد لهذه العبادة حلاوة أشد من حلاوة العسل والسكر.

وكان كثير من العباد إذا دخلوا الصلاة دخلوا فيها التذوا بها، ووجدوا لها حلاوة. وذكروا عن سعيد بن المسيب -رحمه الله- كان إذا دخل بيته سكن أهل البيت، ولا يقدرون على أن يرفعوا أصواتهم، ولا أن يتكلموا؛ هيبة له؛ لكن إذا كبر يصلي بالليل أو في الضحى ونحوه تكلموا ورفعوا أصواتهم، لماذا؟ لأنه لا يسمعهم؛ ولو رفعوا الأصوات عنده؛ وذلك لما هو فيه من لذة المناجاة، من حلاوة العبادة، ينشغل بالعبادة، بالصلاة وحلاوتها عن ما حوله من الأصوات المزعجة ونحوها.

وذكر عن غيره قالوا: وقع حريق في منزله وهو يصلي، فصعق الناس، وصاحوا وضجت الأصوات، وهو في صلاته ما تحرك، ولا قطع صلاته؛ حتى أتمها، ولم يدر ما الناس فيه؛ وذلك للذة العبادة، وجد للعبادة لذة.

وذكر عن بعض السلف أنه قال: كابدت قيام الليل عشرين سنة، وتلذذت به عشرين سنة. يقول: العشرين الأولى كان في سن الشباب وريعانه، فكان يتعب نفسه ويكرهها على قيام الليل؛ يصلي في الليل خمس ساعات أو ثمان ساعات طوال الليل، وبعدما مر عليه عشرون على هذا وجد العبادة فيها لذيذة، تلذذ بهذه العبادة، إن كانت الصلاة عنده لذيذة ألذ من السلوى ألذ من الحلوى، فدل هذا على أن للعبادة حلاوة.

وأن من أسبابها: حصول هذه الثلاث: « **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: - الأولى - أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما** » **يعني**: أن يقدم محبة الله ومحبة رسوله على محبة نفسه وولده وإخوته وأهله وذويه وماله وأقاربه وأسرته والناس كلهم؛ وذلك لأنه يعرف بأن الله تعالى هو ربه، وهو مالكه، وهو المتصرف فيه؛ فيحبه من كل قلبه. ويعرف -أيضا- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- هو رسول الله إلى الأمة، وهو الذي أنقذهم الله به من الضلالة ومن الكفر ومن العصيان، فيحبه -أيضا- من كل قلبه، فيكون بذلك مقدما لمحبة الله ومحبة رسوله على محبة كل شيء.

وإذا أحب الله تعالى أحب عبادته؛ أحب الصلاة والصوم والصدقة، وأحب الذكر والدعاء وقراءة القرآن، وأحب جميع الطاعات، وتلذذ بها، وواظب عليها، وأكثر منها، وكذلك أيضا أحب كل من يحبهم الله. هذه علامة محبة الله.

ومحبة النبي -صلى الله عليه وسلم- علامتها: أن يتبعه، ويطيعه، ويعمل بكل ما أمره به. فيؤمن بأنه رسول الله حقا، وكذلك يطيعه في كل ما وجه إليه، وكذلك يقتدي به ويتخذه أسوة؛ لقول الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّـهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ وكذلك إذا أحب النبي -صلى الله عليه وسلم- فإنه يكره معصيته والخروج عن سنته. هذا هو حقيقة محبة الله ورسوله.

الخصلة الثانية: « **أن يحب المرء لا يحبه إلا لله** » محبة الإنسان للخلق تتفاوت:

هناك المحبة الطبيعية: محبة الإنسان لأولاده، ومحبته لأبويه هذه محبة طبيعية لا يلام عليها؛ ولأجل ذلك فإنه يسعى في طلب الرزق والمعيشة، ويبذلها رخيصة لأولاده ولأحفاده ولأبويه ولأقاربه ولمن يحبه. فهذه محبة طبيعية.

وهناك محبة لمنفعة: بأن تحب هذا؛ لأنه نفعك نفعا دينيا، أو نفعا دنيويا، فتحبه، ويميل قلبك إليه؛ لحسن عمله؛ ولحسن خلقه. وهذا كله لا ينافي محبة الإيمان.

هناك المحبة الدينية: وهي أن تحب الإنسان لصلاحه ولتقاه ولعبادته واستقامته ولالتزامه بأمر الله تعالى؛ مع أنه ما نفعك في دنياك، ولا شفع لك، ولا أهدى إليك، ولا أعطاك، ولا تسبب في عمل لك، ولا غير ذلك؛ ولكن رأيته رجلا صالحا، ورأيته يتعبد، ورأيته يواظب على الصلوات، ورأيته يتبع الحق ويبتعد عن الباطل، ويبعد عن الآثام والمحرمات، فأحببته من كل قلبك. فكانت هذه محبة دينية.

جاء في الحديث -حديث السبعة- : « **سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد** » ، ثم قال: « **ورجلان تحابا في الله -أي- اجتمعا على ذلك، وتفرقا على ذلك** » يعني: كل منهما أحب أخاه لله تعالى لا لعرض من الدنيا.

فهذه المحبة الدينية هي التي يجد بها حلاوة الإيمان؛ وذلك لأنه إذا أحب من يحبهم الله تعالى فإنه يقتدي بهم؛ إذا رأيته يتهجد فإنك تحبه وتقتدي به، وإذا رأيته يرتل القرآن فإنك تحبه وتقتدي به، وإذا رأيته يتصدق، وإذا رأيته يصوم، وإذا رأيته يدعو إلى الله، وإذا رأيته ينصح، وإذا رأيته يأمر أو ينهى أو يرشد، وإذا رأيته يبر والديه ويصل رحمه، ونحو ذلك؛ فإنك تحبه، ثم تقتدي به في هذه الأعمال.

وأما المحبة العاجلة الدنيوية؛ فإنها ليست مستقرة، نعرف وتعرفون اثنين كانا متصادقين، ثم بعد ذلك تهاجرا وتقاطعا، تسأل: يا فلان؛ قد كنت صديقا لفلان ثم إنك أخذت تسبه، فلا يذكر سببا؛ إلا أمرا دنيويا، فيقول -مثلا- إنه خانني، إنه ما شفع لي، إنه ما نفعني، إنه أخذ مني شيئا ولم يرده. فيكون هجره ومقاطعته؛ لأجل أمر دنيوي. هل تتهمه في عقيدته؟ هل تقول: إنه يزني أو يسرق؟ هل تتهمه بأنه لا يصلي ولا يصوم؟ فيقول: لا والله؛ بل إنه مواظب على العبادة، وإنه متنزه عن الآثام؛ ولكنه ما نفعني لما طلبت منه كذا وكذا، فقاطعته. لا شك أن هذا دليل على أنها محبة عاجلة، محبة دنيوية.

الخصلة الثالثة: قوله: « **وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار** » يكره الكفر، الله تعالى أنقذه من الكفر وهداه للإيمان، وسدده وثبته ووفقه، فآمن، ودخل في الإيمان، والتزم بالطاعة؛ فلأجل ذلك يكره الكفر بعد الإيمان، وكذلك يكره الضلالة بعد الهدى، ويكره الانحراف بعد الاستقامة، ويكره الجهل بعد العلم، ويكره المعصية بعد الطاعة، يعني: كل شيء يكرهه الله فإنه يكرهه؛ ولو عذب؛ ولو أحرق؛ ولو قيل له: اكفر وإلا أحرقناك، فإنه يصبر على الأذى، يكره الكفر كما يكره أن يقذف في النار.

وهكذا أيضا يكره المعصية؛ ولو كانت مما تشتهيها النفس؛ ولو كانت لذيذة ومحبوبة عند النفس، فإنه يعلم أن ربه حرمها، وأن ربه يكرهها؛ فلأجل ذلك يقول: أكره كل شيء نهاني عنه ربي، ولا أقترب منه؛ ولو كان فيه لذة دنيوية، فيكره الكبر؛ ولو كانت النفس تدعو إليه، ويكره الإعجاب، ويكره الزنا؛ ولو كانت النفس تندفع إليه، ويكره فاحشة اللواط –مثلا– ويكره الخمر، ويكره سماع الغناء، ويكره النظر في الصور والأفلام الخليعة ونحوها، ويكره النظر إلى النساء المتكشفات، والمرأة –أيضا– تكره التبرج؛ ولو كان قد فعلته فلانة.. وفلانة، وتكره التكشف، وتكره المعاكسات، وما أشبهها. يكره كل إنسان ما يغضب الله، وما نهاه الله عنه. فهذا هو علامة محبة الإيمان، وعلامة حلاوته.

قال ـ رحمه الله تعالى ـ :

بَابٌ : عَلَامَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ

حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّـهِ بْنُ عَبْدِ اللَّـهِ بْنِ جَبْرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ ».

« **الشَّـرْحُ** » :

الذين أسلموا لما دعاهم النبي –صلى الله عليه وسلم– وكانوا بالمدينة وعندهم ثلاث طوائف من اليهود، واليهود أهل كتاب، وقد عرض اليهود من كتابهم أنه قرب زمن بعث النبي –صلى الله عليه وسلم– يعرفون ذلك في كتبهم كما قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ** ﴾ فكان اليهود يهددون الأنصار، ويقولون: قد جاء وقت نبي يبعث، نتبعه ونقاتلكم معه. كلما حصل بينهم وبين الأنصار قتال أو فتنة ذكروا لهم هذا النبي، أنه قد حان وقت خروج نبي يبعثه الله، فنتبعه ونقتلكم معه، فكثر كلامهم في ذكر هذا النبي، وكانوا يظنون أنه يبعث منهم، يبعث من بني إسرائيل، فبعث الله تعالى محمدا –صلى الله عليه وسلم– من العرب من مكة المكرمة التي هي أشرف البقاع، وبها بيته الحرام، وبعثه من قريش وهم من أشرف القبائل.

فلما بعث.. العرب لا يعرفون كلمة نبي ولا رسول، وكانوا يعبدون الأصنام، فصاروا يردون دعوته، ولما جاء أهل المدينة عرض عليهم دعوته، وأنه نبي، فعند ذلك قالوا: هذا النبي الذي تخوفكم به اليهود فاسبقوا إليه، وبادروا إلى تصديقه قبل أن يسبقوكم. وعلموا علامات النبوة، وعرفوا صدقه، وصفاته، فصدقوه وبايعوه، ثم التزموا أن ينصروه؛ أن ينصروه مما ينصرون منه أبناءهم وأهليهم وأولادهم، ثم وعدهم أنه يخرج إليهم؛ يعني: إلى المدينة فهاجر إلى المدينة ولما بعث من غير اليهود حسدوا العرب وكذبوه.

فالأنصار -رضي الله عنهم- حازوا قصب السبق، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يذكر لهم فضله عليهم، فيقول: ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي؟ ألم أجدكم متفرقين فجمعكم الله بي؟ فيقولون: الله ورسوله أمن. فيقول: ألا تجيبون؟ ألا تقولون: جئتنا وحيدا فآويناك، وجئتنا مكذبا فصدقناك؟ فقالوا: المنة لله ولرسوله . فسماهم الأنصار، وكان لهم هذا الفضل، فكان على بقية المؤمنين محبتهم؛ أن يحبوهم، قد ذكرهم الله تعالى، قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾ هؤلاء هم الأنصار، وقال تعالى: ﴿ **لَقَدْ تَابَ اللَّـهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا** ﴾ آووا إخوانهم ونصروهم، فذكرهم الله تعالى في هذه الآيات فدل على فضلهم.

فلذلك.. علينا أن نحبهم محبة قلبية؛ وإن كنا لم نرهم، ولم نعاصرهم؛ ولكن لما سمعنا صفاتهم، ومبادرتهم بالتصديق، ونصرتهم لله ولرسوله؛ حتى قالوا في غزوة بدر: لو قمت بنا إلى برك الغماد لاتبعناك. وقالوا: لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ **فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا** ﴾ ؛ بل نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون . فاليهود قالوا: فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ وهم يقولون: نعم، اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. لا يقولون كما قالت اليهود: إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ فدل على أنهم فدوا النبي -صلى الله عليه وسلم- بأموالهم وأنفسهم، وواسوا إخوانهم من المهاجرين؛ فلذلك محبتهم علامة على الإيمان.

آية الإيمان: حب الأنصار، يعني: محبتهم؛ لأنهم هم الذين نصروا الله ورسوله.

وآية النفاق: بغض الأنصار، الذي يبغضهم كاليهود ونحوهم يعتبر منافقا؛ وذلك لأنهم ما أبغضوهم إلا حسدا؛ مع أنهم بذلوا ما يملكونه في سبيل نصر الإسلام.

ولكن.. ليس هذا خاصا بالأنصار، ذكر في الحديث الذي قبله: « **أن يحب المرء لا يحبه إلا لله** » فكل من كان من أهل الصلاح فإننا نحبه، ومن أبغضه لصلاحه فإنه منافق، فإذا رأيت الذين يبغضون الدعاة إلى الله، أو يبغضون الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، أو يبغضون أهل الصلاح وأهل الاستقامة؛ فإن ذلك علامة نفاقهم، إذا رأيت الذين يتنقصون العباد وأهل الخير، يقولون -مثلا- هذا رجعي، هذا متأخر، هذا متزمت، هذا غالٍ، هذا لم يعرف مستقبله، ولم

يعرف ما عليه. فيظنون أن دينه هو الذي أخره، أو أن عبادته هي التي أخرته -كما يعبرون- فمثل هذا -بلا شك- علامة على أنهم منافقين. نعوذ بالله من النفاق والشقاق وسوء الأخلاق.

قال ـ رحمه الله تعالى ـ :

باب: حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو إِدْرِيسَ عَائِذُ اللَّـهِ بْنُ عَبْدِ اللَّـهِ، أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ ـ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ ـ وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ العَقَبَةِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ قَالَ، وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: « بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّـهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّـهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّـهُ فَهُوَ إِلَى اللَّـهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ ». فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ.

« **الشَّـرْحُ** »:

هذه الخصال .. وهي التي أمر الله تعالى نبيه أن يبايع المؤمنات عليها في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّـهِ ﴾ هذا الأمر الأول على ترك الشرك -صغيره وكبيره-. ثانيا: وَلَا يَسْرِقْنَ على ترك السرقة. ثالثا: ﴿ **وَلَا يَزْنِينَ** ﴾ أي: على ترك الزنا. رابعا: ﴿ **وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ** ﴾ على ترك قتل الأولاد. خامسا: ﴿ **وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ** ﴾ يعني: بكذب ونحوه. سادسا: ﴿ **وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ** ﴾.

ففي هذا الحديث عبادة بن الصامت من الأنصار، من الذين شهدوا بيعة الرضوان، وشهدوا العقبة، وشهدوا بدرا، فله فضائل؛ شهد العقبة -يعني- البيعة التي عند العقبة بمكة في منى كان النبي -صلى الله عليه وسلم- جاءه من الأنصار سبعون، وبايعهم، وجعل منهم اثني عشر نقيبا، النبي -صلى الله عليه وسلم- كان عنده عصابة من الأنصار، فقال لهم: بايعوني. وكأنها بيعة تجديد؛ وإلا فإنهم قد بايعوه في العقبة، ولا يزالون يبايعونه، وكل من أسلم فإنه يبايعه، وبايعوه في الحديبية، قال الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّـهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ** ﴾ فالمبايعة معناها: المعاهدة. يقول أحدهم: أبايعك -يعني- أعاهدك عهدا مؤكدا، وألتزم بما تعهده علي، وألتزم بما تأخذه علي، ولا أخالف ما تبايعني عليه.

وإذا كانت هذه البيعة حظي بها هؤلاء فإنها واجبة على كل مسلم؛ كل مسلم عليه أن يعاهد الله على هذه الأعمال الصالحة وعلى ترك الأعمال المحرمة؛ لأن في هذه البيعة التروك؛ لم يذكر البيعة على الصلاة ولا على الصيام ولا على الحج ولا على الجهاد؛ ولكنه ذكر البيعة على ترك المحرمات؛ سواء في آية البيعة التي .... ﴿ **إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ** ﴾ كان -عليه الصلاة والسلام- يأتيه النساء المؤمنات فيبايعنه؛ ولكنه لا يصافحهن؛ وإنما يقرأ عليهن الآية.

في غزوة الفتح لما فتحت مكة وبايعه الرجال، اجتمع النساء وجعلن يبايعنه؛ يقرأ عليهن الآية، وكان فيهن هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان فلما قرأ عليهن الآية ﴿ **عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّـهِ شَيْئًا** ﴾ كانوا يعرفون الشرك الذي هو: صرف شيء من العبادة لغير الله. فلم يمانعوا في ذلك، ومعنى ذلك: أنكن عليكن توحيد الله؛ إخلاص العبادة له، وعدم عبادة أحد غيره، وعدم صرف شيء من حق الله لغيره؛ دعاء أو خوفا أو رجاء أو توكلا أو خشوعا أو نحو ذلك من العبادات، ويعرفن – أيضا- السرقة ﴿ **وَلَا يَسْرِقْنَ** ﴾ أنه الاختلاس، وأخذ المال من حرزه.

كانت امرأة أبي سفيان تشتكي أن زوجها بخيل شحيح، وأنها تأخذ من ماله بغير علمه؛ تكميلا لنفقته التي يعطيها؛ لا يعطيها إلا نفقة يسيرة لها ولأولادها، فسألت وقالت : « **يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح، لا يعطيني من النفقة ما يكفيني وولدي، فهل آخذ من ماله بغير علمه؟ قال: خذي من ماله ما يكفيك وولدك بالمعروف** » هذا لا يدخل في السرقة؛ ولو كان أخذا بغير علمه؛ ...لأن لها ولأولادها حقا عليه.

ولما قال: ﴿ **وَلَا يَزْنِينَ** ﴾ استنكرت، وقالت: وهل تزني الحرة؟ يعني: عيب عندهم أن الحرة تزني؛ إنما الزنا في العبيد، في المماليك، المملوكة هي التي -لدناءتها- تزني، فأما الحرة عند العرب فإنهم يصونونها، وتصون نفسها، وتحفظ نفسها، فكذلك أيضا الرجال الأحرار الذين شرفهم الله تعالى والذين فضلهم، وكذلك أيضا يسر لهم الحصول على النكاح الحلال؛ فإنهم يتعففون بذلك، ويترفعون عن الزنا؛ سواء بحرة أو بأمة أو بغنية أو فقيرة، يمنعون أنفسهم، ولما قال: ﴿ **وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ** ﴾ تقول: ربيناهم صغارا وقتلتهم أنت يا محمد في بدر وأحد، تشير إلى أنه قتل أخوها وقتل أبوها وقتل عمها في غزوة بدر.

كان أهل الجاهلية يقتلون الأولاد؛ يقتلون الأنثى خشية العار؛ مخافة أنها تزني فتجلب إليهم عارا وسوءا وخجلا، وبعضهم يقتل حتى الذكور؛ مخافة الفقر، فحرم الله ذلك، وقال: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ**﴾ خشية فقر ﴿ **نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ** ﴾ تكفل الله تعالى برزقهم، فهو الذي يرزقهم ويرزق آباءهم، ويسهل الأسباب للحصول على الرزق وعلى الطعام الذي يكتفون به ويتقوتون به.

وأما قوله: ﴿ **وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ** ﴾ فالبهتان: هو الكذب. ومنه القذف؛ وذلك لأنه لما كذب الذين قذفوا عائشة ورموها بالزنا -رضي الله عنها- قال الله تعالى: ﴿ **وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ** ﴾ هذا كذب، بهتان؛ البهتان: هو الكذب الصريح. فنهى الله تعالى، ونهى نبيه عن أن يأتي المسلم أو المسلمة بهذا البهتان ﴿ **وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ** ﴾ الافتراء: هو الكذب. افترى كذا.. يعني: اختلقه دون أن يكون له أصل. ثم قال: ﴿ **وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ** ﴾ يعني: كل ما أمرت به فإنه معروف، فلا يعصينك فيه؛ ذلك لأنه لا يأمر إلا بخير.

فالحاصل.. أن في هذا أنه -صلى الله عليه وسلم- بايع هؤلاء الصحابة: ألا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف. هذه خصال ستة، يقول عبادة

فبايعناه على ذلك. ثم إنه أخبرهم، وقال: « **من أصاب منكم شيئا من هذا** » يعني: من اقترف شيئا، يعني: زنا أو سرق أو قتل أو كذب أو فعل معصية، وستره الله تعالى، فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له؛ سيما إذا تاب، إذا استتر بستر الله. ورد أنه –صلى الله عليه وسلم– قال: « **من وقع في شيء أو من ابتلي بشيء من هذه القاذورات فليستتر بستر الله، فإنه من يبد لنا صفحته نقم عليه حد الله** ».

يعني: إذا وقع إنسان –مثلا– في زنا أو في لواط أو في سكر أو نحو ذلك وستره الله فلا يفشي عن نفسه؛ بل يتوب فيما بينه وبين ربه، ولا يفضح نفسه، ولا يظهر أمره، ...إذا اعترف وقال: نعم، أنا قد فعلت. وجب عليه إقامة الحد، إذا اعترف بالسرقة وجب إقامة الحد بقطع يده اليمنى، إذا اعترف بالزنا وكان محصنا رجم، إن كان غير محصن –لم يتزوج– جلد مائة جلدة، إذا اعترف بالقذف جلد، إذا اعترف بالسكر جلد. وهكذا من أبدى صفحته واعترف وجب إقامة الحد عليه، وأما إذا ستر نفسه فأمره إلى الله، فإن تاب توبة صادقة فالله تعالى يتوب عليه، قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ** ﴾ وأما إذا أصر فأمره إلى الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له؛ لأن الله تعالى أخبر بأنه يغفر ما دون الشرك إذا شاء، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّـهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** ﴾.

قال ـ رحمه الله تعالى ـ :

بَابٌ : مِنَ الدِّينِ الفِرَارُ مِنَ الفِتَنِ.

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّـهِ بْنُ مَسْلَمَةَ ، عَنْ مَالِكٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّـهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ـ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ ـ ، أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : « يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ ».

« **الشَّـرْحُ** » :

الفتن نوعان: فتن الشهوات، وفتن الشبهات.

ولا يسلم منها إلا أهل العلم وأهل الدين وأهل الصلاح وأهل الاعتقاد.

فتن الشهوات: هي ما يوجد في كثير من البلاد من الدوافع إلى الشهوات المحرمة يفتتن بها كثير من الناس، فيفتتنون بزخرف الدنيا وزينتها؛ ولهذا سماها الله تعالى فتنة ﴿ **إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ** ﴾ يعني: اختبارا وامتحانا.

من الفتن –أيضا– فتنة النساء، قال النبي –صلى الله عليه وسلم– : « **اتقوا الدنيا، واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء** » يعني: أنهم افتتنوا بالنساء. ذكر المؤرخون كابن كثير في البداية والنهاية: أن بني إسرائيل لما

خرجوا من مصر ونجوا من الغرق مروا على طوائف من المشركين، فأرادوا أن يقاتلوهم، فقال أولئك المشركون: زينوا نساءكم، وأدخلوها عليهم؛ حتى يقعوا في الزنا. فجملوا نساءهم، وأدخلوهن بين خيام بني إسرائيل، فكان كل من مرت به امرأة دعاها، ومكنته من نفسها، وزنا بها، فعاقبهم الله وأنزل عليهم الطاعون، فمات منهم خلق كثير، ولما جاء أحد علمائهم ورأى رجلا منهم على امرأة طعنهما بالرمح فخرق ظهورهما، ثم حملهما على الرمح وخرج بهما من الخيمة، وقال: يا رب.. هذا فعلنا بمن عصاك. يعني: حملهما لقوته، أو معه غيره، وخرج من الخيمة، هذا جزاؤنا.. أن الذي عصاك علنا قد قتلناه وقتلنا هذه المرأة التي هو معها، فرفع الله تعالى عنهم الطاعون. فهذا من الفتنة، فتنة بني إسرائيل كانت في النساء.

كذلك أيضا من الفتن: الدوافع. فسماع الأغاني وكثرتها فتنة، وكذلك أيضا ظهور المشتهيات كالخمور وما أشبهها هذه فتنة يندفع لها كثير، وهكذا أيضا المباهاة في الدنيا والمكاثرة فيها والتكاثر من المباحات، كما في قوله تعالى: ﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ** ﴾ هذا أيضا فتنة، يعني: يحصل بها ترك كثير من الطاعات وفعل كثير من المحرمات. الفتن الدنيوية كثيرة، ومن جملتها – مثلا– المباحات في هذه المشتهيات ونحوها، إذا رأى الإنسان آخر قد فعل معصية خيل إليه أنه أفضل، وأن له أن يفعل كفعله؛ فتكون هذه من الفتن. هذه فتن الشهوات.

وأما فتن الشبهات: فهي التي تكون على أيدي دعاة الضلال، فإن أهل كل بدعة أو كل ملة غير الإسلام عندهم شبهات يروجون بها على ضعفاء الإيمان، فإما أن تكون شبهاتهم في الإذاعات؛ النصارى يمدحون أنفسهم، ويذكرون أنهم أتباع نبي، وأن نبيهم أفضل من نبينا، وأنهم على هدى وصواب، وأننا نعترف بنبيهم الذي هو عيسى وهم لا يعترفون بنبينا الذي هو محمد ونحو ذلك، فهذه إذا تلقاها كثير في الإذاعات افتتن بها، وكذلك ينشرون فتنهم في كتبهم؛ يؤلف بعضهم رسائل فيها مدح النصرانية، وفيها أنهم أكثر من المسلمين، وأنهم متمكنون، وأنهم الذين صنعوا ما صنعوا؛ صنعوا الطائرات، وصنعوا السيارات، وصنعوا الإذاعات، وصنعوا كذا وكذا، فهم أولى بأن يكونوا على الصواب، انخدع بهم كثيرون؛ انخدع بهم الجهلة ونحوهم، وصاروا يمدحونهم ويذمون المسلمين. هذه من الفتن. وكذلك بثهم للدعاة الذين يدعون إلى الباطل؛ يدعون إلى النصرانية؛ فإن عمالهم الذين يأتون كعمال يقدسهم الآخرون ويقدسهم ويرفع من شأنهم، إذا قيل –مثلا– هذا أمريكي؛ فإنهم يحترمونه، ويقومون له، ويجلسونه مجلسا رفيعا، ولا يردون عليه، ولا أحد يتجرأ على النيل منه، ولا على سبه، ولا على غضبه، ولا غير ذلك. لا شك أن هذا كله دليل على أن هذا من الفتن، يفتتن بهم كثير من الناس.

وهكذا أيضا من الفتن: فتن أهل البدع كالرافضة الذين تمكنوا في العراق وفي إيران وفي شرق المملكة وفي الكويت وفي البحرين وامتد نفوذهم شرقا وغربا، وصلوا إلى الهند و الباكستان إفريقيا عندهم شبهات فتنوا بها الناس، إذا أصغى أحد إلى شبهاتهم افتتن بها، وظن أنهم على صواب، وأن الحق معهم؛ ولو كانوا يسبون الصحابة، ويلعنون أبا بكر و عمر و عثمان و أبا هريرة وغيرهم، ويدعون إلى عبادة علي و الحسن و الحسين و فاطمة و زين العابدين ونحوهم، ويطعنون في القرآن، ويتهمون الصحابة بأنهم حرفوه وحذفوا منه؛ ولكن الجاهل ينخدع بفتنهم وبشبهاتهم.

وهكذا أيضا الصوفية عندهم شبهات يفتنون بها خلقا كثيرة؛ الصوفية المتركزون -مثلا- في أفريقية ؛ بل ويوجدون في المملكة في مكة وفي المدينة وفي جدة وفي الطائف وفي غيرها، يوجد كثيرون يدعون إلى شد الرحال إلى زيارة القبور، وإلى تعظيم الأموات، وإلى السؤال بجاه الميت، وإلى التوسل بالأموات الذي هو عبادة لهم، وأشباه ذلك. هؤلاء لهم فتن، من انخدع بهم ظن أنهم على صواب، فمن السلامة مفارقتهم والبعد عنهم، ورد في حديث الغربة قوله -صلى الله عليه وسلم- : « **بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء. قيل: من الغرباء يا رسول الله؟ قال: الذين يفرون بدينهم من الفتن** » هكذا جاء في رواية، يهربون بدينهم من الفتن.

إذا كانت البلدة فيها دعاة، هؤلاء صوفية يدعون، وهؤلاء معطلة يدعون، وهؤلاء قبورية يدعون، وهؤلاء رافضة يدعون؛ يدعون إلى عقائدهم، وكل منهم عنده فتن، عنده شبهات، فالذي لا يقدر على مجادلتهم يغلبونه إذا لم يكن عنده علم، ولم يكن عنده فطرة وعنده أدلة، ينقطع ولا يقدر على الرد عليهم، أما إذا كان عند المسلم عقيدة سليمة راسخة، وعنده علم بالأدلة؛ فإنه يخصمهم، إذا جادلتهم وأنت عندك علم بطلت شبهاتهم وانقطعوا، وأما إذا لم يكن عندك علم؛ فإنك لا تقدر على خصومتهم؛ بل يغلبون كثيرا ويقولون: هذا انغلب، هذا انقطع، هذا انكسر أمامنا، لم يقف عندنا لحظة؛ فلذلك نقول: إذا ابتلي إنسان بمجادلة هؤلاء الدعاة من النصارى أو من المبتدعة فعليه أن يتسلح بالإيمان وبالعقيدة، فإذا كان عاجزا فعليه أن يهرب؛ يهرب من هذه البلدة التي فيها هذه الشبهات، وينجو بنفسه، وينجو بعقيدته ودينه.

ولو ما ذكر في هذا الحديث : « **يوشك** » يعني: يجري ويقرب « **أن يكون خير مال أحدكم غنم يتتبع بها شعف الجبال ومواضع القطر، يفر بدينه من الفتن** » ؛ ما وجد ملجأ لكثرة الذين يفتنونه إلا أن يهرب منهم، وأن يشتري غنيمة يتتبع بها مواقع القطر؛ حيث ينزل المطر، يأكل من لحمها، يشرب من لبنها، يلبس من صوفها، يتقوت بها إلى أن يجد ملجأ.

قد يكون بعض الفتن شديدة، فإن كثيرا من البلاد يفتنون كل من رأوه متمسكا، ويعذبونه -كما هو موجود في بعض الدول- إذا رأوا من ربى لحيته امتحنوه، فيضطر كثير إلى أن يحلقوا لحاهم؛ مخافة الفتنة؛ ومخافة المحنة، أو أن يهرب منهم إلى دولة أخرى؛ ولو إلى بعض الدول الكافرة، ذكر كثيرون من دولة تونس و ليبيا والدولة القريبة هذه سوريا أنهم يعذبونهم إذا رأوا الملتحي، أو رأوا المرأة المتسترة، فتنوه وعذبوه وأدخلوه السجن وناقشوه وحاسبوه، وكذلك قد يعذبون -أيضا- من يصلي، إذا رأوا الذي يصلي اتهموه -كما يقولون- بأنه ثوري، وأنه سوف يؤلب على الدولة؛ أن الدولة لا تحكم بالشريعة؛ وإنما تحكم -مثلا- بالقانون، وأن الدولة تقر بعض المنكرات، فتقر الزنا، وتقر شرب الخمر وبيعها، وتعطل الحدود، فيقولون: هذا الذي متدين، هذا الذي يصلي، وهذه التي تتستر لا بد أنهم سوف يؤلبون علينا الجمهور. فيقولون: إن هذا الرئيس كافر، فلا بد أن ننتقم منه، ولا بد أن نعاقبه. فيقولون: إنهم يهربون إلى الدول الكافرة، يهربون إلى دولة أمريكا ودولة فرنسا وهنالك يقولون: نأمن على أنفسنا؛ ولو كنا في وسط دولة كافرة؛ لكن نسلم من العذاب، ونسلم من الفتنة، ونسلم من السجن والامتحان، ونعيش عيشة متوسطة؛ لا يقدرون في هذه الحال على أن يخرجوا إلى دول

أخرى؛ حيث تمنعهم ؛ وحيث إن هناك أنظمة، أنه لا يأتي إلى دولة إلا بعد أن يعطى تأشيرة دخول ومدة إقامة وكفيلا يدخله، وإذا عثر عليه لأنه ليس من دولتهم فإنه يعذبونه أو يطردونه. فهذا أيضا من الفتن.

فعرفنا بذلك أن الفتن كثيرة، وأن الإنسان الذي يخشى على نفسه هذه الفتن ليس له مفر إلا أن يهرب إلى مكان يأمن فيه؛ حتى أن بعضهم يقول: إن من الفتن: الدعايات الكثيرة، وإن السلامة منها: البعد عنها؛ ولو في بعض القرى النائية. من الفتن: ما ينشر في الإذاعات من الدعايات ونحوها، والأغاني وما أشبهها، وكذا ما ينشر في الإذاعات المرئية: كالتلفاز، وفيما تبثه القنوات الفضائية بواسطة الدشوش ونحوها، كل هذه من الفتن.

فتن الشهوات وفتن الشبهات متمكنة في كثير من البلاد، فإذا وقعت الفتن فإن على المسلم أن يحرص على النجاة منها بأي وسيلة؛ حتى يسلم على دينه، ويسلم على عقيدته، وعلى بدنه، وعلى أهله وولده. نكتفي بهذا.

والله أعلم، وصلى الله على محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال الإمام البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ :

مِن كِتَابِ الإِيْمَانِ.

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ

وَأَنَّ المَعْرِفَةَ فِعْلُ القَلْبِ لِقَوْلِ اللَّـهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلاَمٍ البيكنديّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدَةُ ، عَنْ هِشَامٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ إِذَا أَمَرَهُمْ ، أَمَرَهُمْ مِنَ الأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ ، قَالُوا : إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّـهِ ، إِنَّ اللَّـهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرَفَ الغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : « إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّـهِ أَنَا ».

« **الشَّـرْحُ** » :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ذكر هذا الحديث، واستنبط منه: أن المعرفة.. عمل القلب. والدليل: قوله تعالى: ﴿ **بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ** ﴾ فدل على أن كسب القلب، وعمل القلب أنه يثاب عليه أو يعاقب عليه.

القلب له أعمال، ذكر منها -في الحديث المتقدم- الحياء؛ هو أنه شعبة من الإيمان، فيكون مما يثاب عليه. وكذلك في هذه الآية أخبر بأنه يعاقبهم على ما كسبت قلوبهم، يعني: كالحقد والحسد والبغضاء والعداوة التي تكون في القلب، وكذلك الشك يكون في القلب، الشك في أمر الله تعالى. فأعمال القلوب يثاب عليها أو يعاقب عليها.

وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رسالة طبعت باسم الأعمال القلبية يعني: أعمال القلوب، بَيَّن فيها الأعمال التي يثاب عليها والتي يعاقب عليها، وبين أنها داخلة في مسمى الإيمان، وأن لها آثارا ولها علامات على صاحبها الذي اتصف بها، فكما أن الأعمال البدنية يثاب عليها كالركوع والسجود والقتال في سبيل الله، وكذلك الأعمال الشركية كالسجود للأصنام والطواف بها -مثلا- والأعمال البدنية كقتل المسلم أو ضربه ونهب ماله أو ما أشبهها، فكذلك أعمال القلوب يثاب عليها أو يعاقب عليها؛ وحينئذ تدخل في مسمى الإيمان.

فقد ذكر العلماء أن الإيمان: قول، وفعل، كما ذكره البخاري في أول كتاب الإيمان: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح. ويقولون: قول باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالجنان.

فأعمال القلوب فيها ما يضمره القلب، أو ما يعمله من عمل صالح، أو عمل حسن؛ ومن ذلك: المعرفة؛ فإنه يقال: عرفت كذا..، أما تعرف كذا وكذا، فالمعرفة عمل قلب.

ففي هذا الحديث ذكر أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يأمرهم بما يطيقون من الأعمال، ولا يحب أن يكلفهم فوق طاقتهم أو ما يشق عليهم؛ وذلك لئلا يستثقلوا العبادة ولئلا يتكرهوها، فإن من عمل عبادة مع كراهة نفسه لها قل أجره عليها، فلا بد أن تكون العبادة التي يتقرب بها العبد مما يسهل على النفس، ولا تنفر منه ولا تستثقله، وهذه العبارة كونه يأمرهم من الأعمال بما يطيقون، معناه أنه يكره لهم ما يشق عليهم.

ورد أنه -صلى الله عليه وسلم- قال: « **إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا** » جاء ما يدل على ذلك من القرآن كقول الله تعالى في آيات الصيام: ﴿ **وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّـهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ لأن الصيام في السفر فيه مشقة؛ لأن السفر قطعة من العذاب؛ فلذلك رخص لهم وعلل بأنه ﴿ **يُرِيدُ اللَّـهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ .

وكذلك لما رخص لهم في التيمم قال بعد ذلك: ﴿ **مَا يُرِيدُ اللَّـهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ** ﴾ حيث لم يكلفكم حمل الماء في السفر للمشقة؛ لأن السفر قد يطول أي قد يسيرون خمسة أيام لا يجدون آبارا ولا قرى، ويشق عليهم حمل المياه في هذه المسافة، فرخص لهم في التيمم وقال تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ يعني: حتى لا يكلفكم ويحرجكم، وكان -صلى الله عليه وسلم- يقول لأصحابه: « **اكلفوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا** » الملل: هو كراهة العبادة واستثقالها، يعني: أن الله تعالى يكره لكم الشيء الذي يملكم وتكرهون له العبادة وتكرهون له استثقالها، ويأتي بها أحدكم ونفسه مرهقة يتمنى أن يتخلص منها ولا يألفها، فمثل هذه العبادة الثقيلة يكرهها الله لعباده، يحب من عباده أن يعملوا العمل وهم فرحون به، نشيطة أنفسهم، محبة لذلك العمل، راغبة فيه؛ حتى تكون العبادة سهلة مرغوبة لا تنفر منها النفس ولا تستثقلها.

ومن المعلوم أن هناك بعضا من العبادات فيها شيء من الثقل؛ كالصيام في أيام الصيف وشدة الحر؛ ولكن المسلم إذا علم بأنه فريضة الله، وأنه عبادة محبوبة عند الله، رغب فيه وأحبه واستخفه وطابت نفسه بفعله...

...نفسه بعد طول القيام ونحوه، ولا يكلف نفسه ما يشق عليها، هكذا أرشد-صلى الله عليه وسلم- ودخل مرة في أحد بيوته وإذا هناك حبل معلق في السقف، فقال: « **ما هذا؟ فقالوا: لزينب تصلي، فإذا فترت تعلقت به. فقال: حلوه. ثم قال: ليصل أحدكم نشاطه، فإذا عجز فليرقد** » كل ذلك رفقا بهم أن يكلفوا عملا فيه مشقة عليهم.

كان النبي -صلى الله عليه وسلم- قد أعانه الله على العبادة، فذكر أنه كان يطيل القيام، كان يقوم حتى تورمت قدماه، فلما قيل له: أتفعل ذلك.. وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: « **أفلا أكون عبدا شكورا؟** » هكذا اختار؛ ومع ذلك كان يطيل القيام، قياما قد يعجز عنه الشباب، ففي حديث حذيفة « **ذكر أنه قام مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة في رمضان، يقول: فاستفتح سورة البقرة، فقلت: يركع عند المائة، فمضى، فقلت: يجعلها في ركعة، فمضى، ثم استفتح سورة النساء، ثم استفتح سورة آل عمران، أي ثلاث سور قرأ بها في ركعة، مجموعها أكثر من خمسة أجزاء، يقرأ مرتلا، إذا مر بآية رحمة وقف وسأل، وإذا مر بآية عذاب وقف، وتعوذ، ثم ركع كذلك** » هذا دليل على أن الله تعالى أعانه على طول القيام، ورغبه فيه، فكان ذلك مما يكلفه، ومما يحبه.

وكان يقول: « **جعلت قرة عيني في الصلاة** » ويقول في رواية: الظمآن يروى، والجائع يشبع، وأنا لا أشبع من الصلاة فكل ذلك مما يراه الصحابة، فيقولون: إنك تعمل كذا وكذا، إنك تعمل هذه الأعمال وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فكيف لا نعمل ونحن لسنا مثلك؟! .

وكان أيضا قد يترك العمل وهو يحب أن يعمل به؛ مخافة أن يشق على أمته، وكان أيضا ينهاهم عن التكلف، في حديث أنس المشهور: « **أن ثلاثة من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- سألوا عن عبادته في السر، فكأنهم تقالُّوها، فقالوا: أين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فقال أحدهم: أما أنا فأصوم ولا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء. فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- أنتم الثلاثة**

الذين قلتم كذا وكذا؟ قالوا: نعم. قال: لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» نهاهم عن أن يشقوا على أنفسهم .

هذا بلا شك دليل على أنه يحب الرفق بأمته، وإذا قالوا له: أنت قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، غضب -كما في هذا الحديث- وقال: « **إن أخوفكم وأعلمكم بالله، لأنا** » يعني إني أرجو أن أكون أتقاكم وأعلمكم بالله؛ ولو كان قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ لكنه مع ذلك كان يواظب على الأعمال الصالحة، ويكثر منها، ولا يملها. وكذلك أيضا كان يرفق بأصحابه إذا رأى منهم الشيء الذي يكلِّفهم، هذا مدلول هذا الحديث كما ذكرنا استدلال البخاري بقوله: « **أعلمكم بالله وأتقاكم لله** » أن هذه معرفة، وأنها من أعمال القلوب.

قال ـ رحمه الله تعالى ـ :

بَابٌ : مَنْ كَرِهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ مِنَ الإِيمَانِ.

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ ـ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ : مَنْ كَانَ اللَّـهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ ، بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّـهُ ، مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ ».

« **الشَّـرْحُ** » :

أتى به هاهنا؛ لدلالته على أن الكراهية من شُعب الإيمان ومن خصاله؛ مع أنها عمل قلب، فكراهة الكفر والصبر على الإحراق في النار في الدنيا، والصبر على العذاب في ذات الله تعالى من خصال الإيمان. قد ذكرنا أمثلة لذلك، فالصحابة – رضي الله عنهم– لما أسلم كثير منهم بمكة صبروا على العذاب، وصبروا على الأذى، وكرهوا أن يعودوا في الكفر؛ وذلك لقوة الإيمان الذي في قلوبهم؛ حملهم على أن يصبروا على الأذى في ذات الله تعالى.

وكذلك ما ذُكر من الأمم السابقة، ذكر في قصة إبراهيم أنه صبر على النار؛ لما أنه هدده قومه، وقالوا: ﴿ **حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ** ﴾ أوقدوا النار الكبيرة، ولم يقل: سوف أترككم، ولا أتعرض لكم؛ بل صبر على أن قذفوه في النار؛ ولكن جعلها الله تعالى عليه بردا وسلاما.

وكذلك ما ذكر من أن سحرة فرعون لما أنهم عرفوا الحق قال تعالى: ﴿ **فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ** ﴾ فهددهم فرعون وقال: ﴿ **آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ** ﴾ فما صدهم ذلك عن الإيمان، صبروا على أن قطع أيديهم وأرجلهم، وعذبهم وقتلهم، وما ردهم ذلك كله عن الإيمان.

فكل ذلك.. دليل على أن الإيمان إذا امتلأ به القلب؛ فإنه يثبت ويرسخ، ولا يتردد ولا يضمحل. هذا كراهة الكفر، والصبر على الأذى من الإيمان.

وكذلك كراهة المعاصي؛ ولو كانت لذيذة عند النفس، ذكرنا ما روي عن بعض السلف أنه قيل له: متى أحب ربي؟ قال: إذا كان ما يكرهه أمرّ عندك من الصبر، يعني إذا كانت المعاصي مُرة المذاق عندك؛ ولو كانت النفس تشتهيها؛ ولكن ينفر منها قلبك؛ لأنك تعلم أن الله تعالى حرَّمها، قد تستحلي النفس بعض المعاصي، وتميل إليها، وتندفع إليها، تندفع مثلا إلى حلاوة الفواحش كالزنا ونحوه والغناء وشرب الخمر وما أشبهها؛ ولكن إذا علم التقي المؤمن أن الله تعالى حرم ذلك أبغضه واستقبحه ونفر منه وعصى نفسه الأمارة بالسوء وابتعد عن كل شيء يقربه من سخط الله تعالى ويقربه من النار؛ لأنه يحب ما يحبه الله تعالى له، ويكره ما يكرهه الله له.

فإذا كانت المعاصي مُرة المذاق عند الإنسان عند المؤمن؛ مع أنها مشتهاة طبعا، فكذلك الطاعات تكون لذيذة في قلب المؤمن؛ ولو كانت ثقيلة؛ ولهذا فإن المؤمنين الأتقياء هانت عليهم الدنيا، هانت ورخصت عندهم أنفسهم، فتعرضوا للقتل في سبيل الله، وهانت ورخصت عندهم أموالهم فأنفقوها في سبيل الله؛ وذلك لأنهم علموا أن الله تعالى يرضى عنهم بذلك. فهذا وجه أنَّ من كره الكفر كما يكره أن يقذف في النار، كان ذلك دليلا على أنه يحب الإيمان، من كره الكفر أحب الإيمان، من كره المعصية أحب الطاعة، من كره الشر أحب الخير، والخير هو ما جاءت به الشريعة؛ ولو كان خلاف ما تهواه النفس أو تميل إليه.

قال ـ رحمه الله تعالى ـ:

تَفَاضُلِ أَهْلِ الإِيمَانِ فِي الأَعْمَالِ.

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى المَازِنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ»، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ. فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَا، أَوِ الحَيَاةِ ـ شَكَّ مَالِكٌ ـ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً».

قَالَ وُهَيْبٌ: حَدَّثَنَا عَمْرٌو: الحَيَاةِ، وَقَالَ: خَرْدَلٍ مِنْ خَيْرٍ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ،

مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ » . قَالُوا : فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّـهِ ؟ قَالَ : « الدِّينَ ».

« **الشَّـرْحُ** » :

هذا الباب جعله لتفاضل أهل الإيمان ليرد بذلك على الذين يقولون: إن أهل الإيمان سواء في أصله. عبارة كثير منهم، وأهله في أصله سواء. يعني أن الإيمان الذي هو التصديق لا يتفاوتون فيه؛ بل كلهم سواء.

فعند المرجئة أن إيمان أفسق الناس كإيمان أتقاهم كإيمان أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة؛ ولو كان شقيا؛ ولو كان فاسقا، عندهم أن الناس في الإيمان سواء.

ولا شك أن هذا خلاف الأدلة؛ بل الناس يتفاضلون في خصال الإيمان: فمنهم من يكون الإيمان في قلبه أرسى من الجبال؛ بحيث إنه لا يتزعزع ولو فتن ولو أوذي ولو اضطهد ولو ضرب ولو سجن فذلك دليل على قوة الإيمان في قلبه.

ثم يدل على ذلك أيضا كثرة أعماله التي يعملها؛ بحيث إن أعضاءه كلها تعمل بالطاعة، فلسانه ينطق بالخير، وكذلك عينه تنظر إلى ما يزيد إيمانه كقراءة وكتابة، وأذناه تستمع إلى ما يفيده، وكذلك سائر جوارحه، كل ذلك لقوة الإيمان. وهكذا إذا ضعف إيمانه، فإن جوارحه تعمل الأعمال السيئة؛ لضعف الإيمان، فيسمع ما يضره، ويتكلم بما ينقِّص دينه، وينظر إلى ما نهي عنه، وهكذا بقية أعماله، وهكذا بقية جوارحه.

لا شك أن ذلك دليل على تفاوت أهل الإيمان: فمنهم من لا يكون في قلبه من الإيمان إلا شيء يسير، ويعمل سيئات فيدخله الله النار؛ بسبب ضعف إيمانه؛ وبسبب سيئاته، والمعاصي التي ارتكبها، عندما يحشر الناس فيكون هناك أهل ذنوب وأهل معاصٍ وأهل سيئات كثيرة لا تنالهم الرحمة، فيحشرون مع أهل النار، ويبقون فيها ما شاء الله .. ويحترقون، يبقون فيها والعياذ بالله مدة طويلة أو قصيرة، ثم بعد ذلك لما كان عندهم إيمان، وكانوا من أهل التوحيد يكون مآلهم إلى الجنة، فيخرجون منها وقد امتحشوا وقد احترقوا، ويقول الله تعالى للملائكة: « **أخرجوا من النار من قال: لا إله إلا الله** » يعني لم يشرك « **وكان في قلبه مثقال دينار من إيمان** » هكذا جاء في رواية، فيخرجون ثم يقول: « **أخرجوا من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فيخرجون وقد احترقوا، ثم يقول: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان** ».

الخردل شجر كبير معروف، وحباته صغيرة قريبة من حب الدخن أو أصغر، فيخرجون، يُخرجونهم وقد احترقوا، فيلقون في نهر الحياة نهر في جانب من جوانب الجنة يجري ويسمى نهر الحياة قد صاروا حمما قد احترقوا وصاروا حمما فينبتون –أي- في ذلك النهر، وتعود إليهم أجسامهم كما تنبت الحِبة في حميل السيل، الحِبة هي ما يحمله السيل من النبات من الحبوب الصغيرة إذا نبتت في حميل السيل إذا ألقاها السيل إلى جوانبه تنبت؛ ولكنها تكون خضراء ملتوية ما يلي الشمس منها أخضر، وما يلي الظل منها أبيض، ينبتون في ذلك.

فالشاهد من هذا الحديث أن الناس يتفاوتون في الإيمان، فمنهم من يكون الإيمان في قلبه راسخا قويا ثابتا كالجبال لا يتزعزع، ومنهم من يكون الإيمان في قلبه دون ذلك، ومنهم من لا يكون في قلبه من الإيمان إلا كحبة خردل، ومع ذلك فإن الله تعالى لا يضيعها، قال تعالى في قصة لقمان ﴿ **يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ** ﴾ يعني لو كان حبة خردل وقال تعالى: ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ** ﴾ يعني لتوزن بها الأعمال يوم القيامة ﴿ **وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ** ﴾ فدل على أن هناك من إيمانه ضعيف كحبة خردل.

وفي حديث حذيفة الذي في صحيح مسلم يقول -صلى الله عليه وسلم- ينام الرجل فتنزع الأمانة من قلبه فيظل أثرها كالمجل يعني في قلبه، المجل هو ما يكون في اليد من النفر الصغير الذي يكون بعد عمله شيئا شاقا. وينام الرجل فتنزع الأمانة من قلبه فيظل أثرها كالوكت، الوكت هو ما يكون في ظاهر اليد من حبات سوداء من آثار مرض أو نحوه.

فيدل على أنه يبقى للأمانة وللإيمان أثر في القلب أثر قليل؛ وذلك دليل على تفاوت الناس في أعمال القلوب، والتي يكون من آثارها أعمال الجوارح.

في الحديث الثاني فضيلة لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه- الخليفة الراشد، كان -رضي الله عنه- ممن آمن بمكة ورسخ الإيمان في قلبه، وكان قويا في ذات الله تعالى، وكان غيورا على الكفار، يبغضهم ويمقتهم، ذكر في هذا الحديث يقول: « **عرضت عليَّ الأمة وعليهم قمص، منها ما يبلغ الثُّديّ، ومنها ما دون ذلك، وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره. فقالوا: ما أوّلت ذلك؟ فقال: الدين** ». في هذا أنه وصفه بهذا الوصف.

وفي حديث آخر، رؤيا أخرى في فضله، يقول: « **بينما أنا نائم أتيت بلبن فشربت منه حتى أني لأجد الري في أطرافي ثم أعطيته عمر قيل: فما أولت ذلك؟ قال: العلم** » أعطى فضله عمر فشرب منه .. فقال: لا إله إلا الله. كيف تفعل بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؛ وذلك لأن المشركين الأولين يعرفون معنى لا إله إلا الله إذا قالوها فإنهم يعرفون أنها تستدعي منهم أن يكون إلههم واحدا وهو الله يعرفون قوله تعالى: ﴿ **وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ** ﴾ ﴿ **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ** ﴾ فإذا قالوها فإنهم يطبقونها، فإذا جاء قوم بعدهم لا يعرفون معناها؛ بل يقولونها؛ ولكنهم يشركون فإنها لا تعصمهم؛ لأن قتالهم على الشرك.

بَابٌ : الحَيَاءُ مِنَ الإيمَانِ.

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ ، وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « دَعْهُ فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ ».

بَابٌ : ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ .

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّـهِ بْنُ مُحَمَّدٍ المُسْنَدِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو رَوْحٍ الحَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ قَالَ : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّـهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّـهِ ».

بَابُ مَنْ قَالَ إِنَّ الإِيمَانَ هُوَ العَمَلُ

لِقَوْلِ اللَّـهِ تَعَالَى : ﴿وَتِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وَقَالَ عِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ عَنْ قَوْلِ : لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ ، وَقَالَ : ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ ﴾.

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ ، وَمُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، قَالاَ : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ سُئِلَ : أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ : « إِيمَانٌ بِاللَّـهِ وَرَسُولِهِ » . قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : « الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ » قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : « حَجٌّ مَبْرُورٌ ».

« الشَّـرْحُ » :

وهكذا استنبط البخاري -رحمه الله- من هذه الآيات أن الأعمال يدخل فيها الإيمان، وأن قوله تعالى: ﴿ **ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ وقوله: ﴿ **بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ** ﴾ ﴿ **يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ** ﴾ يدخل فيها جميع الأعمال، ومن جملتها أعمال القلب، يعني أن الإنسان يثاب على عمل القلب، ومنه: خوف الله، فأعمال قلب، ورجاؤه ومحبته والتوكل عليه، هذه من أعمال القلوب، فيثيبه الله، يدخل ذلك في هذه الآية ﴿ **ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿ **كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ** ﴾ أي بما عملتم. ولا يخالف ذلك ما جاء في الحديث قوله -صلى الله عليه وسلم- : « **لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: ولا أنا؛ إلا أن يتغمدني الله برحمته** » فإن المراد أن عمله لا يكون السبب الوحيد في دخول الجنة؛ ولكن ذلك بفضل الله تعالى عليه، فإن فضل الله عليه كبير؛ حيث إنه الذي هداه، وأقبل بقلبه؛ وحيث إنه الذي أعانه على ذكره فهو يقول: أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك، فالفضل من الله تعالى في أنه منَّ عليك وهداك وأنه أقبل بقلبك على طاعته؛ ولكن لا شك أن العمل يضاف إلى عامله -يعني- ينسب إليه،

فيقال: هذه أعمالك، هذه صلواتك وزكواتك وصدقاتك، وهي التي قدمتها لآخرتك، فتكون من الأسباب في دخولك الجنة، كما أن الأعمال السيئة أيضا أسباب في دخول أصحابها النار.

فالعمل الذي يعمله الإنسان يضاف إليه؛ ولكن الأصل أنه منة من الله تعالى وفضل منه وتوفيق، إذا شكر العبد ربه فإن هذا الشكر يعتبر نعمة من الله تعالى فهو الذي أنعم عليك وهو الذي وفقك للشكر، يقول بعضهم :

إذا كان شكر نعمة الله نعمة * * * عليَّ له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله * * * وإن طالت الأيام واتصل العمر

إذا مس بالسراء عم سرورها * * * وإن مس بالضراء يعقبها الأجر

ففي هذا أن الله تعالى هو المتفضل على عبده، وله النعمة عليه؛ ولكنه أعطاه قوة وقدرة يزاول بها الأعمال، وتنسب الأعمال إليه خيرها وشرها.

كذلك أيضا الأقوال التي يسأل عنها يوم القيامة هي منسوبة إليه يسأل عن قول: لا إله إلا الله هل عمل بها وطبقها وهل قالها عن عقيدة فدل ذلك على أن من جملة ما يعمل وينسب إليه التوحيد الذي هو قول: لا إله إلا الله.

كذلك أيضا جاء هذا الحديث الذي فيه تفاضل الأعمال، فيه أن رسول -صلى الله عليه وسلم- : « **سئل أي العمل أفضل؟ فقال: إيمان بالله. قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور** » جعل هذه كلها من الأعمال، أيّ العمل أفضل؟ وقد تقدم أنه -صلى الله عليه وسلم- أجاب غيره بأجوبة أخرى، أو أنه -مثلا- يجيب كل إنسان بما يناسب حاله، سأله رجل: أي العمل أفضل؟ فقال : « **تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف** » لماذا أجاب ذلك بهذه الأعمال وذكر أنها أفضل من غيرها؟ لأجل أن ينفق ذلك الرجل، وكأنه لاحظ أنه قليل الإنفاق، فقال : « **تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف** » وأما هاهنا فإنه لما سئل أي العمل أفضل؟ فقال: إيمان بالله. فجعل الإيمان الذي هو عمل القلب أفضل الأعمال، ثم جعل بعده الجهاد، ثم جعل بعده الحج، وجعلها كلها من العمل.

فدل على أن العمل يدخل فيه عمل القلب، وعمل البدن.

فالإيمان بالله عمل قلب؛ ولكنها تدخل فيه أعمال البدن؛ لأن الأعمال من مسمى الإيمان، فجعله أفضلها؛ وذلك لأن رسوخه في القلب ينبعث عنه جميع الأعمال البدنية والقولية، وأما الجهاد فإنه نوع من أنواع العمل. الجهاد في سبيل الله عمل بدني، ولا شك أنه ينتج منه خير، وقتال الكفار على الإسلام؛ بحيث إنهم إذا دخلوا في الإسلام ينتصر المسلمون ويكونون أقوياء، فيذل أعداؤهم. فجعله في المرتبة الثانية بعد إيمان القلب، وجعل الحج المبرور في المرتبة الثالثة؛ وذلك لأنه -أيضا- في سبيل الله.

فالحاصل أن في هذا دليلا على تفاوت الأعمال، وكثرة ثوابها.

نكتفي بهذا، والله أعلم، وصلى الله على محمد .

[أسئلة و أجوبة]

س: يقول السائل: عندما يشتري الرجل السلعة مثلا بخمسين ريالا، فيعطي البائع مائة، ولا يكون عند البائع الباقي، فيقول: ارجع إلي غدا أعطيك الباقي، هل هذا صحيح؟

ج : صحيح ذلك؛ لأنها عملة واحدة وليست صرفا، لا يسمى هذا صرفا إذا كان بجنس من جنسه؛ لأن هذه الفئات فئة خمسين وفئة مائة وفئة مائتين كلها نوع واحد ونقد واحد لا تفاوت بينها، أنت مثلا إذا اشتريت خمسا من الغنم كل واحدة بخمسمائة أعطيته ثمن واحدة، ورقة واحدة خمسمائة، وثمن الأخرى أعطيته ورقتين من فئة المائتين، وورقة من فئة المائة، والبقية أعطيته من جنس ذلك فإنه لا يرد ذلك.

أما الذي لا يجوز التفرق قبل التقابض فيه فإنه إذا اختلفت العملة، إذا كان مثلا صرفت ريالات سعودية بريالات يمنية أو قطرية فلا بد من التقابض قبل التفرق أو مثلا بدولارات أمريكية أو جنيهات مصرية فلا بد من التقابض قبل التفرق.

س: يقول السائل: ما معنى قول النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يحل بيع وصرف ؟

ج : كأنه يقول: إنه لا يجوز أن يشترط ذلك؛ لأنه قد يكون فيه غبن لأحدهما، وصورة ذلك: إذا قال: لا أبيعك هذه الشاة بخمسمائة إلا إذا صرفت لي هذا الجنيه بسبعمائة، فإنه قد يكون محتاجا للشاة، وقد يتضرر بصرف الجنيه.

وهكذا مثلا صرف النقود بغيرها، لا أبيعك مثلا هذا الثوب بخمسين إلا إذا صرفت لي هذه العشرة أو هذه المائة بدولارات بسعر كذا وكذا قد يكون هذا فيه غبن لأحدهما.

س: يقول: سحب النقود بالبطاقة خارج المملكة من الصراف بعملة البلد الذي أنت فيها بحيث لا ينزل المبلغ من رصيد الساحب إلا بعد فترة فهل هذا صحيح؟

ج : في هذه الحالة الأولى بالصارف إذا كنت مثلا في هذه البلدة والعملة الريال السعودي فإنك تذهب إلى أحد الفروع في هذا البلد فروع أحد البنوك التي مثلا في مصر لها فروع أو في سوريا أو في السودان أو نحو ذلك، ثم تقول لهم: معي عشرة آلاف حوِّلوها إلى السودان أو إلى المغرب يعني إلى دولة أخرى، ويعطونك بها سندا أن عندنا لك عشرة آلاف ريال سعودي أية فرع من فروعنا يعطيكها أو يعطيك بدلها، فجئت مثلا إلى فرعهم في سوريا وعملتهم تسمى ليرة، أو جئت إليهم إلى فرعهم في مصر وعملتهم تسمى جنيها أو جئت إليهم مثلا إلى فرعهم في الكويت وعملتهم تسمى دينارا فإنك تقول: أعطوني عشرة آلاف ريال سعودي هذا سندي، فيقولون: ليس عندنا إلا عملتنا فتقول: أعطوني بها ما تساوي

فيصرفونها لك ويسمى صرفا بعين وذمة، العين الذي يدفعونها لك، والذمة التي يلتزمون بها؛ لأن في ذمتنا لك عشرة آلاف قيمتها مثلا ألف بالدينار الكويتي خذ الألف عنها والتسليم يكون يدا بيد فأما الأخذ من الصراف فيكون ذلك بعدما تعرف قيمتها اتصلت مثلا بهم فقالوا عندنا لك مثلا عشرة آلاف ريال قيمتها مثلا عشرة آلاف جنيه ومائة أو تسعة آلاف وتسعمائة أو نحو ذلك فإنك تأخذ هذا المقدار، كأنهم يقولون: هذا الذي عندنا لك إن شئت أعطيناك وإن شئت أخذته من الصراف.

س: هنا يشير إلى مسألة تقع في البنوك، وهو أنهم عند مراجعة البنك لتحويل مبلغ يعتبر بالريال السعودي مثلا ألف حتى يحصل على ثلاثمائة دولار مثلا فهو يدفع الألف ويعطونه ورقة فيها ثلاثمائة دولار يتسلمها من إندونيسيا مثلا ما حكمها؟

ج : نرى أن هذا لا يصلح لأن من شرط الصرف التقابض كونهم أعطوه هذه الورقة هذا ليس فيه قبض في هذه الحالة يعطونه الثلاثمائة ثم يردها عليهم فيقول حولوها لي في بلدة كذا وكذا في دولة كذا وكذا ويكون كما لو جاء بالدولارات وقال حولوها لي في دولة ليبيا أو تونس أو نحو ذلك فيستلمها هناك ثلاثمائة فأما إذا قالوا: صرفناها؛ ولكن لا نسلمها لك، ما عندنا الآن دولارات، توجد الدولارات في فرعنا في ليبيا أو نحوه فهذا غير صحيح؛ لأنه ما حصل التقابض؛ لكن في هذه الحال يقولون: عندنا لك عشرة آلاف ريال سعودي وصرفها هناك بالدولار الآن ثلاثة آلاف مثلا أو ثلاثة آلاف وثلاثمائة ارحل واصرفها بعين وذمة فيذهب إلى فرعهم هناك فيقول عندكم لي عشرة آلاف هذا سندهم فيقولون: قيمتها الآن ثلاثة آلاف، خذ ثلاثة آلاف أو ما أشبه ذلك.

س: هذا السائل يقول: ما حكم شراء الذهب بالبطاقة؟

ج : ما يجوز؛ لكن يجوز بالشيك، إذا كان له رصيد، مثلا دخلت ومعك شيك وتريد أن تشتري مثلا بخمسين ألف ذهبا وتخشى أن تحملها معك تخشى من اللصوص ونحوهم في هذه الحال تأتي إلى صاحب الذهب وتشتري منه بخمسين ألف وتعطيه شيكا وتحوله بالثمن على رصيدك.

س: البطاقة مثل الشيك؛ لأنها تنزل من الحساب مباشرة؟

ج : يمكن إذا كان أنه استلم هذه البطاقة، لكن يعني البطاقة قد يعني يتفاوت ما فيها.

س: في الأحاديث التي مرت بنا أو التي سمعناها منك قول النبي -صلى الله عليه وسلم- للصحابة في الوصال بالصوم: « لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني » ما هذا الإطعام حقيقة أم مجاز؟

ج : قيل: إنه يؤتى في الليل بطعام وشراب من الجنة حقيقي هكذا قاله بعضهم؛ ولكن صحح كثير من المحققين كابن رجب في اللطائف أنه طعام معنوي وليس هو حسيا يعني ليس هو أكل وشرب؛ وإنما هو ما يفتح الله تعالى عليه من المعارف وما يرد عليه من الواردات التي تقوم مقام الطعام والشراب، وأنشد قول الشاعر:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها * * * عن الشراب وتلهيها عن الزاد

يعني أن هذه الأنوار والمعارف والواردات التي ترد على قلبه تكفيه عن الطعام والشراب.

س: يقول السائل: كونا أنا وجماعة صندوقا خيريا بحيث يدفع كل شخص مائة ريال سنويا من أجل المشاركة مع أفراد القبيلة لو طلبت دية عامة، المبلغ الآن له عندي ثلاث سنوات ولم يدفع شيء منه يعني لم ينقص فهل في هذا المبلغ زكاة؟

ج : إذا كان المبلغ لأشخاص معينين؛ فإنه فيه زكاة، وأما إذا كانوا تبرعوا به وقالوا في أعمال الخير أي لا يرجع إلينا، بل يرجع إلى غيرنا من المستحقين والمدينين مثلا فإنه يكون صدقة لا زكاة فيه.

س: يقول السائل: عندما أصلي أحس أنه خرج مني مثل الريح يعني أتوهم لأنني لا أحس به، فهل علي شيء؟ وصلاتي التي قد صليتها صحيحة أم يجب علي إعادتها؟

ج : لا تلتفت إلى هذا، يحدث هذا كثيراً بسبب بعض الوساوس، شُكِي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- الرجل يخيل إليه أنه يجد الشيء في الصلاة قال: « **لا ينصرف حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا** » فدل على أنه قد يبتلى بهذه الوساوس وتسمى القراقر فلا يلتفت إليها.

بَابُ إِذَا لَمْ يَكُنِ الإِسْلامُ عَلَى الحَقِيقَةِ ، وَكَانَ عَلَى الِاسْتِسْلامِ أَوِ الخَوْفِ مِنَ القَتْلِ

بَابُ إِذَا لَمْ يَكُنِ الإِسْلامُ عَلَى الحَقِيقَةِ ، وَكَانَ عَلَى الِاسْتِسْلامِ أَوِ الخَوْفِ مِنَ القَتْلِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ فَإِذَا كَانَ عَلَى الحَقِيقَةِ ، فَهُوَ عَلَى قَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّـهِ الإِسْلامُ ﴾.

حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، عَنْ سَعْدٍ ـ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ ـ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ أَعْطَى رَهْطًا وَسَعْدٌ جَالِسٌ ، فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ رَجُلًا هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّـهِ مَا لَكَ عَنْ فُلاَنٍ فَوَاللَّـهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا ، فَقَالَ : « أَوْ مُسْلِمًا » فَسَكَتُّ قَلِيلًا ، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ ، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي ،

فَقُلْتُ : مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ ؟ فَوَاللَّـهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا ، فَقَالَ : « أَوْ مُسْلِمًا » . ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي ، وَعَادَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ : « يَا سَعْدُ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّـهُ فِي النَّارِ » .
وَرَوَاهُ يُونُسُ ، وَصَالِحٌ ، وَمَعْمَرٌ ، وَابْنُ أَخِي الزُّهْرِيِّ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ.

« الشَّـرْحُ » :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذه الآية في سورة الحجرات: ﴿ **قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** ﴾ قيل: إن هؤلاء كانوا منافقين آمنوا بألسنةٍ ظاهرًا ولم تؤمن قلوبهم لم يدخل الإيمان في قلوبهم؛ فلأجل ذلك أنكر الله عليهم قولهم: ﴿ **آمَنَّا** ﴾ فقال: إنكم ﴿ **لَمْ تُؤْمِنُوا** ﴾ وإنما قولوا: ﴿ **أَسْلَمْنَا** ﴾ فإن (الإسلام): يكون هو الأعمال الظاهرة الاستسلام في الظاهر، بمعنى: أنكم دخلتم في مسمى الإسلام حيث استسلمتم وعملتم بالأعمال الظاهرة، ولكن قلوبكم لم تطمئن بالإيمان، ﴿ **وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** ﴾ ولم تنشرح به ولم تصدقوا به يقينا ولم تتبعوه عن قناعة، بل أنتم مترددون في شك من دينكم، فلا تقولوا: آمَنَّا وإنما تقولون: أَسْلَمْنَا يعني: استسلاما ظاهرا.

وكان كثير من المنافقين وكثير من الأعراب دخلوا في الإسلام كتجربة؛ بمعنى: أنهم يقولون: حيث إن الإسلام قد ظهر وصار له تمكن، وتَمَكَّنَ محمد ومن معه وغلبوا على كثير من البلاد فندخل معهم، وإن كنا لم نطمئن بصحة ما هم فيه، وإنما نستسلم لهم غير معتقدين صحة ما هم عليه.

فكثير منهم كالمنافقين، قال الله تعالى: ﴿ **وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ** ﴾.

الأعراب: هم البوادي الذين يتنقلون من مكان لمكان. في هذه الآية: ﴿ **قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا** ﴾ يدل على أنهم غير مؤمنين، أنهم غير متبعين للحق كله؛ ولهذا قال: ﴿ **الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّـهُ عَلَى رَسُولِهِ** ﴾ يعني: أنهم أشد من غيرهم كفرا ونفاقا.

ولهذا لا يتقبلون كل ما جاء في القرآن أو في الإسلام، وإنما يعملون بما يناسبهم، وقال: ﴿ **وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا** ﴾ الذي ينفقونه من أموالهم يتخذونه مغرما، كأنهم غُرِّمُوا قهرا وغصبا عليهم فلا يحتسبون بما ينفقون، ولا يجعلون له أجرا، ولا يرون أنهم بحاجة إلى عمل في الآخرة، وقد يكونون في شك من البعث بعد الموت، وقد يكونون يحبون الكفار في باطن قلوبهم أشد حبا من المؤمنين، وإذا جاهدوا فلا يجاهدون لأجل نصر الدين، وإنما يجاهدون لأجل المغنم لأجل ما يحصل لهم من الغنيمة ويجاهدون .. على أمر دنيوي، وأشباه ذلك من أعمال المنافقين.

فهذا هو السبب في أن الله قال: ﴿ **قل لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا** ﴾ نحن نعاملهم بالظاهر والنبي -صلى الله عليه وسلم- يعاملهم بالظاهر ولا يطلع على القلوب إلا علام الغيوب، فهو يقبل علانيتهم ويكل سرهم إلى الله، هكذا جاء في هذه الآية.

لا شك أن هناك منهم من اطمأن بالإيمان وأحبه وركن إليه؛ ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿ **وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّـهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ** ﴾ يعني: منهم من هم مؤمنون حقا، يعتقدون أن ما ينفقونه وما يؤخذ منهم من أموالهم قربات تقربهم إلى رضا الله تعالى، مع أنهم يؤمنون إيمانا حقيقيا بالله وبرسوله وبأركان الإيمان، فلا بد أن يكون في الأعراب من دخل الإيمان في قلوبهم، ولكن الأكثر أنهم أجدر على ما ذكره الله: ﴿ **الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا** ﴾.

وأما حديث سعد في هذه القصة جاءت للنبي -صلى الله عليه وسلم- صدقة دراهم من فضة أو دنانير، وكان حوله بعض الناس فأخذ يعطي هذا وهذا وهذا وهذا، وترك منهم واحدا يعرف منه سعد أنه مستحق وأنه أحق من غيره، فاستغرب أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ترك هذا وأعطى هؤلاء، فزكاه عند النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: « **ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنا، فقال النبي-صلى الله عليه وسلم- أو مسلما** » يعني: لا تقل: مؤمنا فالإيمان خفي، ولكن تشهد له بالإسلام الظاهر ولا تزكيه في الباطن، قل: إنه مسلم، لا تقل: إنه مؤمن.

عند ذلك سكت سعد ثم إنه كرر عليه هذه الكلمة: « **ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنا، فكرر عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- قوله: أو مسلما** » إلى ثلاث مرات. فكأنه يعرف سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- يعرف منه صحة الإيمان، وذلك لما رأى أو يرى من كثرة أعماله أنه يصوم ويتصدق وأنه يصلي ويتنفل ويجاهد ويترك المحرمات؛ فجزم بأنه مؤمن، ولكن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: « **أو مسلما** » يعني: لا يكون مؤمنا..، ولكن اجزم بأنه مسلم لأنك تشاهد أعماله الظاهرة، وأما ما في القلب فلا تجزم به وذلك لأنه خفي لا يعلمه إلا الله.

قد يستدل بهذا وبالآية على أن هناك فرقا بين الإسلام والإيمان، وأن (الإسلام) هو الأعمال الظاهرة، وأن (الإيمان) هو ما يكون في القلب، هو ما كان في القلب على ما يقول به المرجئة مرجئة الفقهاء.

ولكن نقول: إن الإيمان الذي يكون في القلب هو الذي يثمر كثرة الأعمال، فتكون الأعمال داخلة في الإيمان، وهو ما يختاره أهل السنة، ولهذا البخاري -رحمه الله- يذكر أبوابا كثيرة في خصال الإيمان، وهو أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، يعني فيقول: الصلاة من الإيمان، الزكاة من الإيمان، مع أنها أعمال بدنية أو مالية.

وكذلك الشهادتان من الإيمان، الذكر من الإيمان، مع أنها كلمات قولية، وكذلك حب الله ورسوله من الإيمان، كراهة الكفر من الإيمان، والحياء من الإيمان مع أنها أعمال قلبية.

في هذا الحديث اعتذر النبي -صلى الله عليه وسلم- عن عدم إعطائه لهذا الرجل، اعتذر عن تركه لهذا الرجل: « **إني لأعطي قوما وأترك آخرين، والذين أتركهم أحب إلي من الذين أعطيهم؛ مخافة أن يكبهم الله في النار** » يعني: أن هؤلاء

الذين أعطاهم كأنهم من الذين قال الله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّـهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ﴾ فهو يخشى أنهم إذا تركهم ارتدوا، وقالوا: لا يعطينا من المال الذي يعطيه الله الذي عنده، فيرتدون ويكفرون ويلحقون بالكفار ويموتون على الكفر، ويلقيهم الله تعالى في النار، ويكون ذلك سببا في كفرهم فهو يعطيهم حتى يرغبهم يعطيهم من الصدقات والزكوات والنفقات والواردات المالية التي ترد عليه فيعطيهم لضعف إيمانهم، ويترك من هم أقوى إيمانا يترك القوي إيمانه؛ لأن إيمانهم يحميهم عن الردة وعن الكفر.

هكذا اعتذر، وإلا فإنه يعرف أن هذا الرجل الذي ترك أحسن حالا أو أقوى إيمانا من الذين أعطاهم.

بَابٌ : إِفْشَاءُ السَّلَامِ مِنَ الإِسْلَامِ.

بَابٌ : إِفْشَاءُ السَّلاَمِ مِنَ الإِسْلاَمِ وقَالَ عَمَّارٌ : « ثَلاَثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيَمانَ : الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ ، وَبَذْلُ السَّلاَمِ لِلْعَالَمِ ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ ».

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا اللَّيْثُ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ ، عَنْ أَبِي الخَيْرِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّـهِ بْنِ عَمْرٍو ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ : أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : « تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ ».

« الشَّـرْحُ » :

ذكر هذه الخصال وذكر أنها من الإسلام، وهو دليل على أن الإسلام يفسر بالأعمال الظاهرة، ولكن قد يكون بعضها أو كلها من آثار الإيمان الذي في القلب، فالإنصاف من نفسك، وكونك تعترف بالحق الذي عندك ولا تجحده؛ إذا مثلا كان عندك دين أو نحوه فلا تجحد ما عندك، اعترف بأن عندك لفلان كذا ولفلان كذا، وكذلك أنصف من نفسك، إذا حصل منك اعتداء إذا حصل منك ضرب لفلان بغير حق، فأنصفه حتى يقتص منك ويأخذ بالثأر، وإذا قتلت أحدا ظلما فاعترف ولو أدى ذلك إلى قتلك قصاصا، وإذا أتلفت مالا فاعترف بأنك أنت الذي أتلفته حتى تكلف بدفع قيمته وما أشبه ذلك من الإنصاف.

المنصف حقا: هو الذي يعترف على نفسه بما فعل؛ يعترف على نفسه بأنه هو الذي جنى على فلان، أو استدان من فلان، أو استعار من فلان، وأن ما فعله فإنه عنده.

(بذل السلام للعالم) هذا أيضا من الخصال المتعدية، وهو السلام على من عرفت ومن لم تعرف كما في الحديث، السلام تحية جعلها الله بين المسلمين يحيي بعضهم بها، قال الله تعالى: ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى

أَهْلِهَا﴾ أي تقولون: السلام عليكم. إذا طرقت أحد الأبواب فإنك لا تدخل حتى تسلم ويؤذن لك، فتقول عند الباب: السلام عليكم أأدخل؟ إلى أن يؤذن لك ويقال: ادخل.

(الإنفاق من الإقتار) معناه أن ينفق الإنسان مما أعطاه الله ولو كان فقيرا، (الإقتار) هو الفقر في قوله، أو الإقتار: هو الإمساك والبخل، قال الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا** ﴾ ؛ ﴿ **لَمْ يُسْرِفُوا** ﴾ في زيادة في الإنفاق وإسراف وَلَمْ يَقْتُرُوا أي: لم يبخلوا؛ لأن طبع الإنسان الإمساك، قال الله تعالى: ﴿ **إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا**﴾ أي: بخيلا، فإذا كان الإنسان قد رزقه الله تعالى مالا فلا يكون قتورا أي: لا يكون شديد الإمساك، بل عليه أن ينفق ويعصي نفسه إذا دعته نفسه إلى الإمساك وإلى البخل، فإن هذا هو الإقتار، عليه أن يعصي نفسه، وعليه أن يبذل مما أعطاه الله ولو شيئا قليلا، وما ذاك إلا أنه ولا بد سيكون معه شيء من المال ولو كان قليلا فيعطي منه ولو تمرة؛ لقوله -عليه الصلاة والسلام- : « **اتقوا النار ولو بشق تمرة** » إذا رأى من يقبل التمرة ويستفيد منها فإنه لا يتركها بل يعطيها، فكيف بتمرات؟ فكيف بوجبات؟ فكيف بأكثر من ذلك أو أقل؟!

وأما الحديث يقول -لما سئل أي الإسلام خير؟ أو أي الإسلام أفضل؟- : « **تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف** ».

وهذا مثل ما ذكر في الأثر وهو أنك إذا أعطاك الله فإنك تطعم مما أعطاك، تطعم لوجه الله، قال الله تعالى: ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّـهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا** ﴾ يعني: يطعمون الطعام الذي هو الأكل، ﴿ **مِسْكِينًا** ﴾ الذي لا يجد كفايته ويدخل فيه الفقراء، ﴿ **وَيَتِيمًا** ﴾ مات أحد أبويه وصار ليس عنده من ينفق عليه، ﴿ **وَأَسِيرًا** ﴾ يعني: موثوقا مربوطا، سواء كان مسلما أو كافرا يعني: كالسجين ونحوه، فمثل هؤلاء كانوا يطعمونهم ويحتسبون الأجر فيقولون ﴿ **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّـهِ** ﴾ يعني: طلب رضاه فلا نريد منكم جزاء ولا شكورا. فهكذا يكون ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ** ﴾ وهو أفضل الصدقة قال النبي -صلى الله عليه وسلم- : « **أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر، ولا تمسك حتى إذا بلغت الروح الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا قد كان لفلان** » فدلنا ذلك على أن الإنفاق في حالة كون الإنسان قويا سويا صحيحا شحيحا.

في هذه الحال إذا أنفق فقد عصى نفسه عصى داعي النفس وهو الإمساك؛ لأن النفس تحرص على الإمساك، فإذا عصى نفسه كان هذا أفضل عمل، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ** ﴾ يعني: حال كونه يحب المال آتاه على حبه ﴿ **ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ** ﴾ ذكر ستة؛ بدأهم بذوي القربى يعني: الصدقة على القريب صدقة وصلة. فينفق على أقاربه المحتاجين الذين عليهم نقص، وإن كانوا داخلين في المساكين ولكن لهم حق القرابة، جاء في الحديث: « **صدقتك على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة** » فيقول الله تعالى: ﴿ **وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ** ﴾ فهكذا جاء الترغيب في الصدقة على هؤلاء.

بَابُ كُفْرَانِ العَشِيرِ ، وَكُفْرٍ دُونَ كُفْرٍ.

بَابُ كُفْرَانِ العَشِيرِ ، وَكُفْرٍ دُونَ كُفْرٍ فِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّـهِ بْنُ مَسْلَمَةَ ، عَنْ مَالِكٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ ، يَكْفُرْنَ » قِيلَ : أَيَكْفُرْنَ بِاللَّـهِ ؟ قَالَ : « يَكْفُرْنَ العَشِيرَ ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا ، قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ ».

« الشَّـرْحُ » :

هكذا جاء كفران العشير فيه أحاديث، العشير: هو الزوج. ويدخل في هذا من كانت هذه صفته في كفران العشير وكفران الإحسان. (كفران الإحسان) هو أن الإنسان يكفر أو ينكر ما وصل إليه من الخير ويذكر الشر والسوء ونحو ذلك، من طبيعة كثير من النساء أنها إذا أحسن الإنسان إليها سكتت، فإذا ترك الإحسان يوما أو يومين أساءت الكلام، وأخذت تعدد وتقول: ما رأيت منك خيرا قط أنت البخيل وأنت الشحيح، فتنسى ذلك الخير الذي كان قد أعطاها، هذا كفران العشير وكفران الإحسان.

كثير من الناس يكفرون الإحسان، تحسن إليه دهرا طويلا وينسى ذلك، وإذا حصل منك زلة أو كلمة فإنه يرددها ويذكرها كثيرا ويقول: أنت الذي أسأت بكذا أنت الذي قلت كذا وكذا أنت الذي ضربت أنت الذي حبست أنت الذي ظلمت أنت الذي... وهكذا، مع أنك قد كنت تحسن إليه دهرا طويلا، فنسي ذلك كله فهذا ينافي الإسلام، يكون كأنه كفر إحسان والكفر ضد الإيمان، هذه من صفة هؤلاء الذين يكفرون الإحسان، إذا أبغضوا إنسانا أخذوا يتتبعون عثراته كما يقول بعض الشعراء:

صم إذا سمعوا خـيرا ذكـرت به * * * وإن ذكرت بسوء عنـدهم أذنـوا

يعني: إذا سمعوا الخير فكأنهم صم لا يسمعونه، ولأجل ذلك لا يذكرونه ولا يفشونه وإذا ذكرت بسوء أصغوا آذانهم يفرحون .

إن يسمعوا سيئـا طاروا به فـرحا * * * عني وما سمعوا من صـالح دفنـوا

ما يسمعون من صالح يدفنونه ولا يظهرونه، لا شك أن هذه صفة من يجحد الخير ومن يكفر الإحسان، فيدل على أن هذا من خصال الكفر، كما أن ضده من خصال الإسلام، الذي يعترف بالإحسان ويدعو لمن أحسن إليه ويقول: فلان جزاه الله خيرا أعطاني وأفادني بكذا وكذا فهذا من خصال الإيمان، والذي يجحد المعروف وينكره هذا فيه خصلة من خصال الكفر.

بَابٌ : المَعَاصِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ ، وَلاَ يُكَفَّرُ صَاحِبُهَا بِارْتِكَابِهَا إِلَّا بِالشِّرْكِ.

بَابٌ : المَعَاصِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ ، وَلاَ يُكَفَّرُ صَاحِبُهَا بِارْتِكَابِهَا إِلَّا بِالشِّرْكِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : « إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ » وَقَوْلِ اللَّـهِ تَعَالَى :﴿ إِنَّ اللَّـهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾.

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ وَاصِلٍ الأَحْدَبِ ، عَنِ المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ ، قَالَ : لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ : « يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ ، جَعَلَهُمُ اللَّـهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ ».

« الشَّـرْحُ » :

هكذا جعل هذا من خصال الجاهلية، ولا شك أن كل ما أضيف إلى الجاهلية فإنه جهالة، وأنه من خصال الجهل، والجاهلية ما قبل الإسلام، سموا بذلك لأن أعمالهم صدرت عن جهل أو لكثرة جهلهم، والجهل خصلة مذمومة ينفر منها كل أحد، لو قلت له: أنت جاهل. لنفر وقال: أنت أجهل مني أو نحو ذلك. ومع ذلك فإن الكثير يتصفون بصفات جاهلية.

أنكر الله تعالى في القرآن كثيرا من صفات الجاهلية، فقال تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ أي أن هذه الحمية والتعصب للأقارب ونحوهم ولو كانوا خاطئين هذا من حمية الجاهلية، وكذلك قال تعالى: ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ التبرج إبداء النساء الزينة، فجعل هذا أيضا من خصال الجاهلية، وقال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ يعني: الحكم بالعادات حكم الجاهلية، فكل هذا يدل على أن أمر الجاهلية مذموم.

ففي هذا أن المعرور لقي أبا ذر جندب بن جنادة الغفاري -رضي الله عنه- ومعه مملوكه مملوك له غلام مملوك، وإذا هو قد لبس حلة وألبس غلامه حلة مثلها؛ الحلة اللباس الكامل اللباس الجميل، فتعجب وقال: كيف تسويه بنفسك مع أنه مملوكك، فأخبره بما فعل في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو أنه سب رجلا أو حصلت مسابة بينه وبينه فكان منه أن عيره بأمه، عير ذلك الرجل وكانت أمه أمة يعني: مملوكة. قال له: يا ابن السوداء. كانت أمه أمة سوداء، فعند ذلك أنكر

عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وأخبره بأن هذه فعلة جاهلية، وأنه لا يزال فيه أمر أو خصلة من خصال الجاهلية فقال: « **إنك امرؤ فيك جاهلية** ».

دلنا هذا على أن خصال الجاهلية تنافي خصال الإيمان، ودلنا هذا على أن الإنصاف من الإيمان، والإيمان فرع من الإسلام أو معتقد المسلمين.

لما عيره قال له النبي -صلى الله عليه وسلم- : « **هم إخوانكم خولكم** » إخوانكم يعني: هؤلاء المماليك بشر مثلكم إنسان مثلك « **جعلهم الله تحت أيديكم** » أي: أنه سخرهم لكم فصاروا مماليك لكم يخدمونكم ويتعبون في خدمتكم، ويبقى أحدهم ذليلا لسيده، ويبقى خادما له مجانا بمطعمه وكسوته.

فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : « **هم إخوانكم خولكم** » يعني: خدمكم «جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم ».

فهكذا أخبر بأنهم إخوانكم في الإنسانية إذا لم يكونوا مسلمين، أو في الإنسانية والإسلام إذا كانوا قد أسلموا فهم إخوانكم وهم خدمكم يخدمونكم بالكره يعني: ولو كانوا غير مقتنعين؛ وذلك لأن الله قد ملككم رقابهم « **إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم** » أي: سخرهم لكم وذللهم تحت أيديكم. « **فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم** » يعني: يطعمه من طعامه الذي عنده والذي يأكله، ولهذا كان أبو ذر إذا قدم إليه طعامه دعا بالخادم وأمره بأن يأكل معه، سيما إذا كان الطعام قد أصلحه ذلك الخادم. « **وليلبسه مما يلبس** » ولهذا أبو ذر سوى بينه وبين غلامه فألبسه حلة كاملة كما أنه لبس مثلها، فهذا دليل أو الشاهد منه أن خصال الجاهلية من خصال الكفر.

بَابُ ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾

بَابُ ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ فَسَمَّاهُمُ الْمُؤْمِنِينَ.

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُبَارَكِ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ ، وَيُونُسُ ، عَنِ الْحَسَنِ ، عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ ، قَالَ : ذَهَبْتُ لِأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قُلْتُ : أَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ ، قَالَ : ارْجِعْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ يَقُولُ : « إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ » ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّـهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ قَالَ : « إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ ».

« الشَّـرْحُ » :

وهذا أيضا من شعب الكفر وهو الحرص على قتل المسلمين أو قتالهم، في هذه القصة أن عليًّا -رضي الله عنه- لما خرج عليه أهل العراق توجه إليهم ليردهم إلى طاعته مع أنهم مسلمون.

الأحنف بن قيس من القادة والسادة كان مشهورا في قومه مطاعا وكان جريئا شجاعا، فتوجه لينصر عليًّا مع أن القتال بين المسلمين، فنصحه أبو بكرة نفيع بن الحارث الثقفي وقال له: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: « **إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فتعجبوا وقالوا: هذا القاتل قتل مسلما فما بال المقتول؟ فقال: إنه كان حريصا على قتل صاحبه** ».

هكذا جاء في هذا الحديث أن محبة الكفر أو محبة قتال المسلمين خصلة من خصال أهل النار، وأن الذي يكون حريصا على قتل صاحبه يستحق العذاب، وهذا من أحاديث الوعيد، إذا قيل إنه في النار فنقول: إذا لم يعف الله عنه، أو نقول: إذا دخل النار فإنه لا يخلد فيها إذا كان مؤمنا أو إذا كان من أهل الإسلام الظاهر.

ولا شك أن عليًّا -رضي الله عنه- كان ابن عم النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا يقال: إنه خاض ما لا يحل له، ولكنه توجه لقتال أولئك الخارجين عليه لأجل جمع الكلمة؛ لأجل أن تجتمع كلمة المسلمين ولا يكونون متفرقين، قاتل معه الأحنف وغيره ونصروه، وكان بعد ما انفصلت الحرب انفصلت وتمت البيعة لمعاوية وصار هو الخليفة استسلم له أيضا، ومدحه معاوية وقال: إن هذا الرجل إذا غضب يغضب له عشرون ألفا من قومه لا يسألونه مما غضب، يعني: أنهم يطيعونه ويقاتلون معه على أية حال، فلما كان سيدا مطاعا في قومه أحب أن ينصر عليًّا وتم ذلك كما هو الواقع.

بَابٌ : ظُلْمٌ دُونَ ظُلْمٍ.

حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، ح قَالَ : وحَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ خَالِدٍ أَبُو مُحَمَّدٍ العَسْكَرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ سُلَيْمَانَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ عَلْقَمَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّـهِ ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ : أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾.

« الشَّـرْحُ » :

الظلم: وضع الشيء في غير موضعه اللائق به. وهو من خصال الكفر من خصال الكفار؛ بمعنى: أن الظالم هو الذي يتعدى على غيره، سمى الله تعالى الكفر ظلما في قوله: وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ لأنهم وضعوا الإيمان في غير موضعه، لم يؤمنوا الإيمان الواجب فصار الكفر ظلما.

وكذلك أيضا سمى الله الشرك ظلما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ فدل على أنه من أظلم الظلم؛ لأنه وضع للعبادة في غير موضعها؛ حيث وضع ذلك الشريك في موضع الخالق وجعل له شركا في العبادة.

وأما ظلم النفس فإنه أقل من الشرك، الإنسان يكون ظالما لنفسه ولا يخرجه ذلك عن الإيمان، في الحديث أن أبا بكر -رضي الله عنه- قال: علمني يا رسول الله دعاء أدعو به في صلاتي، فقال: « **قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت...** » إلى آخره كما هو معروف. أي: اعترف بأنك ظلمت نفسك. وظلم النفس لا يخرج الإنسان من الإيمان، فإن أبا بكر -رضي الله عنه- أقوى الصحابة أو من أقواهم إيمانا، ومع ذلك يعترف بأنه ظلم نفسه.

وكذلك ما ذكر الله عن يونس صاحب الحوت، اعترف وهو في بطن الحوت بقوله: ﴿ **أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾.

ومعلوم أن ظلمه لم يخرجه عن الكفر ولا عن الشرك، وإنما هرب لما غاضبه قومه ولم يؤمنوا، فاعترف بأنه من الظالمين ولم يكن ظلما يخرجه من الملة.

ولما نزلت هذه الآية ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ** ﴾خاف الصحابة أن المراد ظلم النفس، أو ظلم بعضهم لبعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، أن هذا يصيرهم غير مهتدين ولا آمنين، فبين لهم النبي -صلى الله عليه وسلم- أن هذه الآية يراد بها الظلم الأكبر، الظلم الأكبر الذي هو الشرك بالله؛ لأنهم قالوا: هذه الآية نص في أنه لا يكون مهتديا آمنا إلا من ليس بظالم ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا** ﴾ أي: لم يخلطوا ﴿ **إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ** ﴾ يعني: بنوع من الظلم. ظنوا أنه يدخل في ذلك ظلم الإنسان نفسه بنقصه في حقها أو ظلمه لأخيه أو ظلمه لغيره، فالله تعالى لا يظلمهم.

وقد قال الله تعالى: ﴿ **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا** ﴾ سماهم مؤمنين مع كونهم يتقاتلون، وبكل حال فإن الظلم يتفاوت: ظلم دون ظلم؛ ظلم يخرج من الملة وهو الشرك أو الكفر ﴿ **وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ وظلم لا يخرج من الملة، ولكنه بلا شك ينقص الدين وينقص الإسلام، فكما أن الطاعات تزيد في الإيمان وتقويه، فكذلك المعاصي ولو كانت من الصغائر تنقص الإسلام وتضعفه، فلا يكون الإنسان كامل الإيمان إلا إذا كان مكملا لجميع خصال الخير وشعب الإيمان.

بَابُ عَلامَةِ المُنَافِقِ.

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ أَبُو الرَّبِيعِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ أَبُو سُهَيْلٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ».

حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةَ ، عَنْ مَسْرُوقٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا : إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ ». تَابَعَهُ شُعْبَةُ ، عَنِ الْأَعْمَشِ.

« **الشَّـرْحُ** » :

قيل: إن هذه علامات يعرف بها المنافق؛ لأن المنافق هو الذي يضمر الكفر، يخفي الكفر ويظهر الإيمان حتى يأمن على نفسه وعلى ماله؛ كالمنافقين الذين في المدينة فإنهم في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- دخلوا في الإسلام ظاهرا وكانوا يطلعون الكفار على أسرار المؤمنين؛ ولأجل ذلك سماهم الله تعالى منافقين؛ أي كانوا مع الكفار في الباطن، أو مع اليهود وأما في الظاهر فإنهم مع المؤمنين؛ يجاهدون ويصلون ويتصدقون ولكن قلوبهم تميل إلى الكفار، يحبون الكفار ويقدمونهم ويحبون اليهود ويؤثرونهم.

ففي قصة عبد الله بن أُبَيّ بن سلول لما مرض جاءه النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: « **يا عبد الله قد كنت أنهاك عن حب اليهود** » فقال: قد أبغضهم أسعد بن زرارة فمات. يعني: أن محبتهم ليست هي السبب في أني أموت، فقد أبغضهم غيري ولم يمنعه بغضه من الموت؛ فدل على أنه كان يميل إلى اليهود ويحبهم. فكذلك أيضا...

... المنافقون ضد المؤمنين. إذا عرفنا هذه الخصال؛ فتكون علامة على ما في قلوبهم.

الخصلة الأولى: الكذب. قال الله تعالى: ﴿ **وَاللَّـهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ** ﴾ فالكذب من طبعهم يحدثونك ولكن يكذبون. يقول الله تعالى: ﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ** ﴾ فهم يقابلونك ويحلفون بأنهم معكم وبأنهم يحبونكم ولكن قلوبهم منكرة وهم مستكبرون. يقول الله تعالى: ﴿ **يَحْلِفُونَ بِاللَّـهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّـهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ** ﴾ ويخبر عنهم الكذب كقوله تعالى: ﴿ **بِمَا أَخْلَفُوا اللَّـهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** ﴾ فدل ذلك على أن هذا من خصالهم الكذب؛ فيقال: الكذب من خصال المنافقين.

ورد في بعض الآثار قيل: المؤمن يزني؟ قال: يزني. المؤمن يسرق؟ قال: يسرق. قيل: المؤمن يكذب؟ قال: لا يعني: المؤمن الصادق الإيمان يمنعه من الكذب الذي هو الإخبار بغير الحقائق، وهذا دليل على أن إثمه أكبر من إثم الزاني ونحوه.

فالمنافق إذا حدث كذب ليخدع من يحدثه.

ثانيا: الخلف « **إذا وعد أخلف** » الوعد: ميثاق يربطه الإنسان مع غيره. نصف .. خصال المنافقين. قال الله تعالى: ﴿ **بِمَا أَخْلَفُوا اللَّـهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** ﴾ وعدوا الله تعالى بأنهم يجاهدون ويجتهدون وينفقون، ولكن أخلفوا الوعد؛ فهذه من خصال المنافقين.

كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص على الوفاء بالوعد؛ إذا وعد وعدًا فإنه يوفي به ولا يتركه ولا يخلفه، ويحث على الوفاء بالمواعيد.

الخصلة الثالثة: « **وإذا ائتمن خان** » هذه من خصال المنافقين.

الخيانة ضد الأمانة. والله تعالى قد مدح الذين يؤدون الأمانات في قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ**﴾ يعني: إذا كان عندك أمانة؛ فاحرص على أن تحفظها وعلى أن تؤديها إلى صاحبها، ولا تخن فيها وتكذب وتجحد.

جاء في حديث : « **أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك** » لو قدر مثلا أن صاحب هذه الأمانة ائتمنك عليها؛ فعليك في هذا أن تؤدي أمانته التي ائتمنك عليها، ولا تقول: أجازيه فإنه قد خانني. بل عليك الوفاء بالوعد، وعليك أداء الأمانة، ولا تنتقم منه لنفسك في الدنيا. حقك عند الله . إذا كان قد خانك؛ فإنك تأخذ خيانته من حسناته في الآخرة، « **ولا تخن من خانك** » هذه ثلاث خصال.

في الحديث الثاني خصلتان أيضا، وهما قوله: « **إذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر** ».

العهد: هو الميثاق بين اثنين أو بين جماعتين.

والغدر: هو الخيانة وخلف الموعد. وقد أكد الله تعالى الوفاء بالوعد، وكذلك أكد أيضا النهي عن نقض العهد في آيات كثيرة. ذكرنا قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** ﴾ العهد هو الميثاق؛ الذين يرعون العهد من المؤمنين، والذين ينقضون العهد من المنافقين.

وقال تعالى: ﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّـهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا** ﴾ ومعنى ذلك أنه إذا أكد كلاما بيمينه وتعهد عهدا بقوله: أعاهدك أن آتيك بحقك أو آتيك في وقت كذا وكذا؛ فإن عليه الوفاء بذلك العهد. ﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّـهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ** ﴾،﴿ **وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ** ﴾،﴿ **وَبِعَهْدِ اللَّـهِ أَوْفُوا** ﴾ ؛ أي: إذا عاهدتم عهدا بالله فأوفوا. ﴿ **وَبِعَهْدِ اللَّـهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ** ﴾.

فجعل من جملة الوصايا الوفاء بعهد الله. وقال تعالى: ﴿ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا** ﴾ فيدل على آكدية الوفاء بالعهد، وضد ذلك هو نقض العهد نقضه يعتبر خلفا للوعد ونقضا للعهد.

وأما الخصلة الخامسة فهي الفجور: « **وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر** » الفجور هو الحلف كاذبا بحيث لا يبالي باليمين.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: « **من اقتطع مال امرئ مسلم بيمين هو فيها فاجر؛ لقي الله وهو عليه غضبان** » فيفجر في حلفه؛ يحلف وهو فاجر؛ فيكون بذلك قد تعرض لعذاب الله تعالى الذي توعد به.

فهذه الخصال الخمس: « **إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر** » هذه من خصال المنافقين، والنفاق من الكفر. نكتفي بهذا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.قال البُخَارِيُّ في صحيحه :

بَابٌ : قِيَامُ لَيْلَةِ القَدْرِ مِنَ الإِيمَانِ.

حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ ، عَنِ الأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : « مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ القَدْرِ ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ».

« **الشَّـرْحُ** » :

السلام عليكم ورحمة الله، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على ... رسول الله وعلى آله وصحبه.

البخاري -رحمه الله- على معتقد أهل السنة والجماعة، وأن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان. ومن الأعمال الصلوات فرائضها ونوافلها فهي من الإيمان؛ أي: أنها من جملة خصال الإيمان؛ لأن الأعمال كلها من الإيمان وتسمى خصال الإيمان أو شعب الإيمان.

فمن ذلك قيام ليلة القدر، ليلة القدر التي ذكر الله تعالى أنه أنزل القرآن فيها ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ *وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ** ﴾ فمن قامها إيمانا واحتسابا؛ غفر له ما تقدم من ذنبه.

« **إيمانا** » يعني: أن قيامها يزيد في الإيمان، أو أن قيامها من جملة الإيمان، أو أنه قامها لأجل الإيمان؛ الإيمان الذي في قلبه.

والاحتساب: طلب الأجر، « **احتسابا** » يعني: طلب الأجر والثواب.

ذكر الله تعالى أنه يغفر له ما تقدم من ذنبه، أي: إذا قامها محتسبا فإن الله تعالى يغفر له ذنوبه ليلة واحدة. مع أن الله تعالى أخفاها في ليالي شهر رمضان حتى يجتهد العبد في قيام تلك الليالي رجاء أن يصيبها؛ فيغفر الله له ما تقدم من ذنوبه.

بَابٌ : الجِهَادُ مِنَ الإيمَانِ.

حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ حَفْصٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَارَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ بْنُ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « انْتَدَبَ اللَّـهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي ، أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ ، أَوْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ ، وَلَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ».

« **الشَّـرْحُ** » :

الجهاد من الإيمان. الجهاد: هو بذل الجهد وبذل الوسع في كل ما هو عمل صالح، ولكن أطلق على قتال الكفار أطلق عليه أنه هو الجهاد؛ وذلك لأنه يبذل أقصى شيء يملكه وهو نفسه؛ يبذل نفسه ويبذل ماله ويبذل قوته؛ فلذلك يسمى جهادا يعني: اجتهادا وإجهادا للنفس أقصى غاية الجهد.

فالجهاد في سبيل الله تعالى داخل في مسمى الإيمان؛ لأنه عمل صالح ولأن الذي يحمل عليه هو الإيمان الذي في القلب؛ فيكون داخلا في أعمال البدن التي هي من الإيمان؛ يعني: أن أعمال البدن إيمان كما أن أعمال القلب إيمان.

فأخبر تعالى بأن هذا من الإيمان؛ فقال –صلى الله عليه وسلم– : « **انتدب الله لمن خرج في سبيل الله** » يقول في الحديث القدسي: « **لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه إلى أهله بما نال من أجر أو غنيمة، أو أدخله الجنة** » لا يحمله على الخروج إلا الإيمان إيمان بالله تعالى؛ يعني: أن خروجه من جملة الإيمان، وأن الذي حمله عليه قوة الإيمان، وأن خروجه زيادة في الإيمان.

وكذلك بقية أعماله زيادة في الإيمان. أعماله التي يعملها يعني: كلها زيادة في الإيمان ومن جملة الإيمان. وردت أمثلة كثيرة لذلك؛ منها قوله –صلى الله عليه وسلم– : « **لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها** » ومنها : « **أن صحابيا أمره النبي –صلى الله عليه وسلم– على سرية ليخرجوا في الجهاد فخرجوا يوم الجمعة، وتأخر هو حتى يصلي الجمعة مع النبي –صلى الله عليه وسلم–. ولما رآه قال: ما الذي خلفك؟ فقال: تأخرت حتى أصلي معك الجمعة، ثم أدركهم. فقال –صلى الله عليه وسلم– لو أنفقت ملء الأرض ذهبا؛ ما بلغت أجر روحتهم أو غدوتهم** » يعني: أنهم سبقوك بهذه الغدوة التي هي مسيرهم أول النهار.

الغدوة: مسير أول النهار.

والروحة: مسير آخر النهار. يعني أنهم سبقوك بها؛ فلا تدرك أجرهم في هذا السير الذي هو مسير مثلا خمس ساعات أو ست ساعات قطعوها في سيرهم للجهاد.

وورد أيضا ما يدل على أن من أعد الخيل للجهاد في سبيل الله فإنه يكتب له خطواتها ويكتب له عمله معها. يعني: حتى سقيها لتتقوى، واستنانها يعني: سيرها. كل ذلك يعد من أجر الجهاد وأجر المجاهدين في سبيل الله.

أخبر في هذا الحديث أن الله : « **انتدب** » يعني: أنه أعطى ووعد من خرج مجاهدا في سبيل الله. « **لا يخرجه إلا إيمان بي** » إيمان بالله. « **وتصديق برسلي** » إذا أرجعه إلى أهله رجع بأجر؛ أجر رواحه ورجوعه وأجر غيبته طويلة أو قصيرة. أو يجمع له الأجر والغنيمة التي يغنمها مع المسلمين من أموال الكفار فيجمع له الأجر والغنيمة. أو إذا قتل شهيدا أن يدخله الجنة. وعدا من الله تعالى أن يدخله دار كرامته التي هي الجنة؛ هذا وعد من الله والله لا يخلف الميعاد.

والله أعلم بمن يخرج في الجهاد ومن تكون نيته إيمانا بالله وجهادا في سبيله؛ لأن الكثيرين لا يخرجهم الإيمان، وإنما يخرجهم أمور أخرى. فقد « **سئل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الرجل يقاتل حمية، ويقاتل شجاعة، ويقاتل ليرى مكانه، ويقاتل للمغنم. أي ذلك في سبيل الله؟ قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله** ».

قالَ ـ رَحِمَهُ اللَّـهُ تَعَالَى ـ :

بَابٌ : تَطَوُّعُ قِيَامِ رَمَضَانَ مِنَ الإِيمَانِ.

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مَالِكٌ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ».

« **الشَّـرْحُ** » :

قيام رمضان: الصلاة في لياليه. وهذه أيضا من الأعمال التي يحبها الله؛ فإنه يحب أن يتطوع العباد بجنس ما فرضه عليهم. فرض الله الصلاة وأحب أن يتقربوا بجنسها يعني: بنوافل. وفرض الصيام وأحب أن يتقربوا بنوافل التي هي صيام التطوع. وفرض الصدقة كالزكاة وأحب أن يتطوعوا بجنسها يعني: صدقات التطوع والتبرعات وما أشبهها.

فمن جنس الصلاة قيام رمضان. جاء في هذا الحديث أن : « **من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه** » يعني: لم يحمله إلا الإيمان حمله الإيمان، أو أن قيامه زيادة في الإيمان. يحصل هذا الأجر لمن احتسب وصبر وقام ليالي رمضان من أوله إلى آخره.

قيل: يحصل لمن قام نصف كل ليلة أو ثلثها متهجدا متطوعا؛ وذلك لأن الله تعالى أمر نبيه بذلك في قوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ** ﴾ هكذا أمره. ثم أخبر بعد ذلك بامتثاله فقال: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ** ﴾ يعني: قريبا من ثلثي الليل. ﴿ **وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ** ﴾ أي: وتقوم ثلثه.
وهذا فعله -صلى الله عليه وسلم- طوال السنة. ولا شك أن رمضان أولى بأن يهتم به؛ ففي هذا الحديث أن : « **من قام رمضان** » يعني: قام لياليه. فله هذا الأجر إذا احتسب، وكان احتسابه أن يحمله على ذلك الإيمان بالله والاحتساب؛ الإيمان الذي امتلأ به قلبه، والاحتساب الذي هو طلب الأجر.

قالَ ـ رَحِمَهُ اللَّـهُ تَعَالَى ـ :

بَابٌ : صَوْمُ رَمَضَانَ احْتِسَابًا مِنَ الإِيمَانِ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلامٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ».

« **الشَّـرْحُ** » :

(معلوم أن صيام رمضان) فريضة وركن من أركان الإسلام، وأن المسلمين يتقربون إلى الله تعالى بصيامه كله ولا يفطرون منه. ومن أفطر منه ولو يوما واحدا فإنه يقضيه إذا أفطر لعذر. ومن أفطر لغير عذر فإنه يعتبر مفرطا ويعتبر مذنبا ذنبا كثيرا. ومع ذلك فإنه يؤجر على هذا الصيام ويثاب؛ فيكون سببا في مغفرة ما تقدم من ذنبه. إذا كان مصدقا بأنه من الله وأن الله الذي فرضه وأمر به، ومصدقا بأنه عبادة وقربة يتطوع بها لله سبحانه وتعالى، ومحتسبا الأجر طالبا الأجر من الله « **غفر له ما تقدم من ذنبه** ».

فهذه ثلاثة أسباب في رمضان يغفر الله تعالى بها للعبد ما تقدم من ذنبه؛ الأولى: قيام ليلة القدر إيمانا واحتسابا، والثانية: قيام ليالي رمضان إيمانا واحتسابا، والثالثة: صيام رمضان إيمانا واحتسابا.

أي: كلها من الأسباب التي يغفر الله تعالى بها سيئات العبد. وهذه المغفرة قيل: إنها تعم كبائر الذنوب، وقيل: إنها تختص بالصغائر.

جاء في حديث أنه -صلى الله عليه وسلم- قال: « **الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر** » فجعل تكفيرها بشرط اجتناب الكبائر.

فأما إذا اقترف العبد الكبائر، فالكبائر تحتاج إلى توبة؛ فمن قد اقترفها فلا بد من التوبة.

كذلك أيضا لا بد من ترك الذنوب؛ لأنه إذا أصر عليها فإنها تكون من الكبائر ولو كانت من مقدمات الذنوب. فلا بد من التوبة التي هي ترك الإصرار عليها والتباعد عنها.

قالَ ـ رَحِمَهُ اللَّـهُ تَعَالَى ـ :

بَابٌ : الدِّينُ يُسْرٌ.

حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلاَمِ بْنُ مُطَهَّرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ ، عَنْ مَعْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الغِفَارِيِّ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ ـ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا ، وَأَبْشِرُوا ، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ ».

« **الشَّـرْحُ** » :

الدين: هو الإيمان كما في قوله -صلى الله عليه وسلم- في حديث جبريل جاءكم يعلمكم أمر دينكم مع أنه ذكر الإسلام والإيمان والإحسان فجعل ذلك كله من الدين؛ وذلك لأن العباد يدينون به يعني: يعترفون به كله. فيسمى الإسلام دينا كله في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّـهِ الْإِسْلَامُ** ﴾ يعني: الإسلام وما يستلزمه هو الدين الصحيح.

وقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ** ﴾ يعني: إذا دان بدين غير دين المسلمين فلا يقبل منه. وقال الله تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ فأخبر أنه رضي الإسلام دينا، وأنه أبطل بقية الأديان كدين اليهود ودين النصارى ودين المشركين والقبوريين ودين البوذيين ودين الهندوس ودين المجوس ونحوهم. إنما يبقى دين واحد وهو دين الإسلام.

ثم في هذا الحديث قوله: « **أحب الدين إلى الله أيسره** » يبين أن اليسر والسهولة هي ما يدعو إليه الإسلام، وأنه ليس فيه تشديد ولا صعوبات ولا كلف لا تطاق، وإنما أمر بأمور يطيقها العباد، وإنه وإن أمر بالجهاد فقد وعد في الجهاد بأجر كبير

كما تقدم، حتى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي تقدم قريبا أخبر بأنه لولا أن يشق على أمته ما تخلف وراء سرية تخرج؛ بل يخرج معها. ولكن كان يكره الكلفة والمشقة على العباد لأن الدين يسر، فلو خرج مع كل سرية لخرجوا كلهم، وعطلوا أمورهم وحروثهم وأعمالهم وحرفهم وأهليهم، ولكن عرف أن في ذلك مشقة عليهم كلهم فلأجل ذلك كان يخرج سرية تقوم بالكفاية؛ يمكن عددها ألف أو أربعمائة أو نحو ذلك؛ تغير ثم ترجع.

وقد أخبر بأن الجهاد؛ ولو كان فيه تعرض للقتل، ولو أنه شيء يشق على النفس، ولكن فيه الأجر الكبير. ولأجل ذلك يتمنى يقول: « **لولا أن أشق على أمتي ما تخلفت خلف سرية، ولوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل** » يعني: أن كثرة قتله يكون بذلك أعظم لأجره.

وقد روي « **أن الذين قتلوا في سبيل الله يتمنون أن يعادوا إلى الدنيا؛ حتى يقتلوا في سبيل الله مرة أخرى** » هكذا جاء في هذه الروايات. كذلك روي: « **أنهم لما قتلوا قالوا: من يبلغ عنا ربنا أنا قد لقينا ربنا؟** » ففي بعض الروايات أن ذلك نزل قرآنا؛ (أن بلغوا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا) .

فالحاصل أن الجهاد ولو كان شاقا فإنه لا ينافي يسر الإسلام وأن الإسلام يسر، وأنه يهدف إلى اليسر وإلى السهولة، وأنه حنيفية سمحة، وأنه أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة التي ليس فيها شيء من الصعوبات ولا الكلف والمشقات. قال الله تعالى في صيام رمضان: ﴿ **فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ هكذا جاء. ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ دليل على أن دين الإسلام يسر.

علم الله أن المسافرين يشق عليهم الصيام؛ وذلك لأنهم يمشون على أرجلهم خمس ساعات أو عشر ساعات، وإذا ركبوا فإنهم يركبون وتصهرهم الشمس، وإذا نزلوا فهم بحاجة إلى خدمة رفقتهم، وعمل يحتاجون إليه كسقي ركابهم وجمع حطبهم وإصلاح طعامهم فكان عليهم مشقة؛ فقال: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾.

ولما رخص لهم في التيمم إذا عدموا الماء أخبر بأن هذا أيضا شرعه لليسر على عباده، في قوله تعالى: ﴿ **مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ يعني: في تكليفكم بالطهارة من الماء، فقد يشق عليكم حمله؛ سيما في الطريق الطويل الذي يبلغ عشرة أيام أو عشرين يوما قد لا يجدون ماء؛ فلذلك أخبر بأنه لا يحرجهم؛ فيقول -صلى الله عليه وسلم- : « **إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه؛ فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة** » وفي رواية : « **والقصد القصد تبلغوا** » يعني: اكلفوا من العمل ما تطيقون ولا تشقوا على أنفسكم؛ فإن الله تعالى لا يحب العمل الذي يكلفكم ويشقكم.

في بعض الروايات : « **إذا صلى أحدكم في الليل ثم نعس فليرقد، فإنه لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه** » يعني: إذا كان ناعسا. وكذلك أيضا « **دخل مرة ورأى حبلا مربوطا في السقف؛ فقال: ما هذا؟ فقالوا: لزينب؛ تصلي بالليل فإذا فترت تعلقت به. فقال: حلوه، ليصلِّ أحدكم نشاطه فإذا عجز فليرقد** ».

وذلك لأنه -عليه السلام- رفيق بأمته، قال الله في حقه: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ** ﴾ يعني: نبيكم محمد -صلى الله عليه وسلم-. ثم وصفه بقوله: ﴿ **عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ ﴿ **عَزِيزٌ عَلَيْهِ** ﴾ يعني: شاق عليه الشيء الذي يعنتكم ويوقعكم في الشدة. فكذلك هنا يقول: « **إن هذا الدين يسر** » يعني: جاء باليسر والسهولة حتى لا يمله العباد؛ لأن العبد إذا عمل العمل وهو يستثقله كرهته نفسه وثقل عليها وثقل العمل على نفسه، وجاء إليه وكأنه يدفع دفعا. والمطلوب أن الأعمال تكون محبوبة؛ محبوبة عند الله تعالى حتى يكثر الأجر والثواب.

إذا كنت تعمل العمل وأنت تحبه وراغب فيه وتتمنى استمراره كان الأجر كثيرا. وإذا كنت تعمله ولكنك تستثقله؛ تستثقله وتهرب منه، أو تنفر منه نفسك وتراه ثقيلا؛ فإن أجره يكون أقل مما إذا كانت النفس تتلقاه وتتقبله براحة وطمأنينة. فدين الله تعالى يسر.

جاء في حديث لابن عباس : « **وأن مع العسر يسرا** » وفي حديث آخر : « **لن يغلب عسر يسرين** » عسر واحد لا يغلب يسرين، ويشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿ **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا *إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** ﴾.

وذلك لأن الله تعالى ذكر العسر بالألف واللام فدل على أنه شيء واحد، وذكر اليسر منكرا يسرا مرتين فدل على أنهما يسران ؛ فالعسر لا يغلب اليسرين. وفي حديث لو دخل العسر جحر ضب؛ لجاء اليسر حتى يدخل عليه فدين الله تعالى يسر ليس فيه صعوبات.

لما علم الله أن المسافر يشق عليه النزول كل وقت أباح له الجمع رفقا به. وعلم أن السفر أيضا مظنة المشقة أباح له القصر؛ يعني: أن يقصر الرباعية إلى ركعتين تخفيفا عليه. وعلم أيضا أنه يشق عليه حمل الماء أباح له التيمم بالتراب. وعلم مشقة الصيام فأباح له الإفطار والقضاء من أيام أخرى. وغير ذلك مما يدل على أن الله تعالى رحيم بعباده.

« **ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه** » المشادة: المقاومة. يعني: ما هناك أحد يقول: سوف أعمل بكل ما أقدر عليه إلا غُلِبَ « **لا يشاد الدين** » ؛ يعني: لا يماشيه إلا غلبه الدين وأعجزه، ولكن اكلفوا من العمل ما تطيقون.

« **ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا** »، « **سددوا وقاربوا** » أي: اعملوا الأعمال التي تقربكم ولو لم تبلغوا غايتها ولو لم تصلوا إلى أكثرها وإلى نهايتها؛ فإن ذلك قد يكلفكم. سددوا وقاربوا أي: تسددوا في الأمور وقاربوا ما تقدرون عليه في النوافل وفي الصيام وفي الصدقات وما أشبه ذلك، ولا تكلفوا أنفسكم فوق طاقتها. فهذا معنى التسديد والمقاربة.

وأبشروا أبشروا بالأجر إذا فعلتم ما أمرتم به من الأوامر والنواهي ونحوها. « **واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة** » المسافر إذا كان السفر بعيدا فإنه قد يتعبه السير المستمر؛ فلأجل ذلك قد يشق عليه ويشق على بعيره الذي يركبه، فيقولون: إن المنبت لا أرضا قطع، ولا ظهرا أبقى .

المنبت: هو الذي يواصل السير مواصلة مستمرة، ثم يكون من آثار مواصلته أنه يسير مثلا خمسة أيام ما أراح نفسه ولا أراح جمله. ففي هذه الخمسة قد يسير ويقطع، يقطع مسيرة خمسة عشر يوما في خمسة أيام، ثم يبرك به جمله ويهزل وينقطع

به، فينقطع في برية يعني صحراء. فلا هو الذي رفق ببعيره حتى يوصله ولو بعد عشرين يوما، ولا هو الذي قطع الأرض كلها، بل برك به بعيره في برية؛ وذلك لأنه كلف نفسه، وكلف بعيره فسار عليه حتى أهزله.

هذا يسمى المنبت؛ لا أرضا قطع لا قطع الأرض كلها التي هي مسيرة شهر، ولا أبقى ظهره؛ يعني: رفق بظهره أي: ببعيره الذي يركب على ظهره. تسمى الرواحل ظهرا. أما إذا سار برفق؛ فإنه يصل ولو بعد مدة طويلة.

يقول: « **استعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة** » الغدوة: السير في أول النهار، وقت البرودة إلى أن تحتر الشمس.

والروحة: السير آخر النهار بعد ابتداء البرودة؛ فيريح نفسه في وسط النهار أي: في القيلولة يريح نفسه ويريح بعيره.

« **وشيء من الدلجة** » الدلجة: هي السير في الليل. وكان- عليه الصلاة والسلام- يسير في الليل كثيرا ويقول: « **إن الأرض تطوى بالليل** » فيحث على أنه يسير برفق.

« **شيء من الدلجة** » أي: شيء من السير؛ السير سيرا رفيقا. إذا سار أول الليل أو آخر الليل يقال: أدلج.

جاء في حديث آخر يقول: « **من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل** »، « **من خاف** » يعني: من خاف من قطاع الطريق، أو خاف من المحاربين في سفره. « **أدلج** » يعني: سار في الليل. « **ومن أدلج بلغ المنزل** » وهذا مثل ضربه.

قوله: « **استعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة** » يعني: افعلوا كما يفعل المسافر الذي يرفق بنفسه، يسير في أوقات النشاط ويريح نفسه في أوقات الكلل والتعب. فكذلك أنتم في عبادتكم استعينوا بأوقات النشاط، إذا نشطت في أول الليل تصلي ما تيسر، وكذلك في آخر الليل تصلي ما تيسر، وكذلك إذا نشطت في النهار تصلي ما تيسر؛ فتصلي في أوقات نشاطك.

وكذلك أيضا إذا نشطت للذكر تذكر الله بقدر ما تيسر لك، إذا نشطت للقراءة تقرأ ما تيسر، وكذلك للدعاء وكذلك للصيام وللصدقة وللحج وللجهاد ونحو ذلك. اغتنموا أوقات نشاطكم واشغلوها في ذكر الله تعالى وفي طاعته وعبادته؛ فإنكم بذلك تكونون قد رفقتكم بأنفسكم ولم تكلفوها فوق طاقتها.

إذا رفقت بنفسك في صلاة ما تيسر ولو كل ليلة ركعتين أو أربعا أو نحو ذلك. وكذلك أيضا إذا رفقت بنفسك وصمت ما تستطيع ولم تكلف. رفقت بنفسك في القراءة فقرأت في الوقت الذي تجد نفسك نشيطة، فإذا سئمت أرحت نفسك. فإنك بذلك لا تمل من العبادة ولو استمرت، وبذلك تحصل على عبادة كثيرة. فإن كثيرا من الناس كلفوا أنفسهم فوق طاقتها، كلفوا أنفسهم بحيث إن أحدهم أتعب نفسه في الصيام؛ فاستمر يصوم شهرين أربعة أشهر خمسة فسئمت نفسه؛ ثم بعد ذلك ترك الصوم كله.

أتعب أيضا نفسه في القيام؛ فصار يكلفها فيقوم كل ليلة خمس ساعات أو عشر ساعات؛ فتعبت نفسه وثقلت عليها العبادة، فعند ذلك سئمها وتركها تركا كليا.

وهكذا أيضا كان يكلف نفسه بالاعتكاف والجلوس في المسجد، وينقطع انقطاعا كليا عن مصالحه؛ بحيث إنه يبقى مثلا في المسجد خمس أو عشر ساعات في كل يوم وليلة؛ فثقلت عليه هذه الانقطاعات؛ فترك ذلك تركا كليا.

ومن المعلوم أن العمل المستمر أفضل من العمل المنقطع؛ ولذلك قال النبي –صلى الله عليه وسلم– : « **أفضل العمل ما داوم عليه صاحبه وإن قل** » فإذا داومت مثلا على صيام ولو قليل كل شهر ثلاثة أيام أو كل أسبوع يوما أو يومين؛ فإن ذلك أكثر مما إذا صمت شهرا أو شهرين متتابعين أو ثلاثة، ثم سئمت ذلك وتركته وقلت: شق علي. لو أنك رفقت بنفسك ما شق عليك.

وهكذا أيضا إذا قلت: سوف أصلي كل ليلة خمس أو عشر ساعات. وأطلت القيام؛ فإنك تتعب نفسك، ثم بعد ذلك النفس إذا سئمت وتعبت ملت من هذا العمل وضجرت منه فيتركه، فلو كونه مثلا يأتي بشيء يسير ولو ساعة أو نصف ساعة كل ليلة أولى من كونه يأتي بخمس أو عشر ساعات زمنا قليلا ثم ينقطع؛ والعمل المستمر خير من العمل المنقطع. هذا معنى « **استعينوا** » يعني: استعينوا بأوقات نشاطكم وقت نشاط النفس وقت راحتها، فإذا سئمت فإنك تريح نفسك. هذا معنى « **استعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة** ».

بَابٌ : الصَّلَاةُ مِنَ الإِيمَانِ.

بَابٌ : الصَّلَاةُ مِنَ الإِيمَانِ وَقَوْلُ اللَّـهِ تَعَالَى :﴿ وَمَا كَانَ اللَّـهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ يَعْنِي صَلاتَكُمْ عِنْدَ البَيْتِ.

[وَقالَ ـ رَحِمَهُ اللَّـهُ تَعَالَى ـ :]

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ ، عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ـ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ ـ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ « كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ المَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ ، أَوْ قَالَ أَخْوَالِهِ مِنَ الأَنْصَارِ ، وَأَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا ، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ البَيْتِ ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلاَةٍ صَلَّاهَا صَلاَةَ العَصْرِ ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ بِاللَّـهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ البَيْتِ ، وَكَانَتِ اليَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ ، وَأَهْلُ الكِتَابِ ، فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ البَيْتِ ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ» .

قَالَ زُهَيْرٌ : حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ ، عَنِ البَرَاءِ فِي حَدِيثِهِ هَذَا : أَنَّهُ مَاتَ عَلَى القِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ وَقُتِلُوا ، فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّـهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّـهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾.

« الشَّـرْحُ » :

الصلاة أيضا من الإيمان لأنها شعبة من شعب الإيمان. ويراد بذلك الصلاة كلها فرضا ونفلا؛ لأن الذي يحمل عليها هو الإيمان، ولأنها تزيد في الإيمان، ولأنها خصلة من خصال الإيمان؛ فالله تعالى جعلها من الإيمان.

ففي هذه القصة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ذكر أنه لما كان بمكة كان يصلي إلى جنوب الكعبة ؛ فيجعل الكعبة . ... والكعبة قبلة أبينا إبراهيم فكان يجمع بينهما ولما انتقل إلى المدينة لم يتمكن من الجمع بينهما في استقبالهما لأن الكعبة تكون في جهة الجنوب بالنسبة إلى المدينة وبيت المقدس في جهة الشمال بالنسبة إلى المدينة فأُمر بأن يستقبل بيت المقدس أولا: لأنه قبلة الأنبياء؛ ورجاء أن يعرف ذلك اليهود فيدخلوا في الإسلام.

واستمر على استقبالها ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا بعدما نزل في المدينة وأعجب اليهود أنه استقبل قبلتهم وقبلة أنبيائهم؛ ولكن لم يتأثروا ولم يقبلوا ولم يدخلوا في الإسلام، كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يحب أن يستقبل الكعبة يحب ذلك ويتمناه يحب أن يأمره الله باستقبال الكعبة فكان يقلب بصره ينتظر أن يؤمر بذلك.

ثم بعد هذه المدة أنزل الله عليه ﴿ **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ** ﴾ -يعني- من اليهود ﴿ **لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ** ﴾ يعلمون أنها القبلة الصحيحة ﴿ **وَمَا اللَّـهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ * وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ** ﴾ -يعني- لو أتيتهم بالآيات وبالبراهين ما تبعوا قبلتك وإذا كان كذلك فلا تتبع قبلتهم اتبع قبلة أبيك إبراهيم .

ذكر الله في هذه الآيات قصة بناء الكعبة بناء إبراهيم في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ** ﴾ إلى آخر الآيات وذكر فضل البيت في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا** ﴾ وذكر دعاء إبراهيم بقوله: ﴿ **رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا** ﴾ ونحو ذلك؛ فكل ذلك مما حمله عليه السلام على أن يحب استقبال قبلة أبينا إبراهيم فصرفه الله -تعالى- بعد هذه المدة إلى الكعبة أمره بأن يستقبل الكعبة في هذه الآيات.

فلما استقبلها أنكر ذلك اليهود قالوا : ﴿ **مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا** ﴾ ما الذي حرفهم؟ ما الذي صرفهم؟ إن كانت القبلة الأولى قبلة صحيحة فلماذا تركوها؟ وإن لم تكن صحيحة فكيف تكون عبادتهم؟ وكيف تكون صلاتهم؟

يكونون في أول الأمر على غير هدى بل على ضلالة وتكون صلاتهم إليها ضائعة فأنزل الله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّـهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ** ﴾ كان بعضهم قد مات على القبلة الأولى فَشَكُّوا في أمرهم ماذا نقول فيهم وقد ماتوا على تلك القبلة؟ ما صلوا إلى القبلة التي هي القبلة الصحيحة فعند ذلك أنزل الله فيهم هذه الآية : ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّـهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ** ﴾.

في هذه القصة أنه لما أنزلت عليه هذه الآيات استقبل القبلة قيل: إن أول صلاة استقبل القبلة فيها صلاة الفجر هذا هو الصحيح؛ ومع ذلك ما وصل الخبر إلى آخرين إلا صلاةَ العصر ما وصلهم الخبر؛ مر رجل على قوم يصلون إلى القبلة الأولى فأخبرهم بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- أمر بأن يستقبل مكة وكانت وجوههم إلى الشمال فاستداروا إلى الجنوب استداروا كما هم مشوا ومشى إمامهم إلى أن صاروا إلى القبلة التي هي الكعبة ورأوا أن هذا المشي لا يبطل الصلاة وذلك لأنه حرص على استقبال القبلة التي صرفوا عليها.

فالشاهد قول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّـهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ فجعل صلاتهم الأولى من الإيمان فدل على أن جنس الصلاة من جنس الإيمان وأنها من الإيمان .

بَابُ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ.

قَالَ مَالِكٌ : أَخْبَرَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ ، أَنَّ عَطَاءَ بْنَ يَسَارٍ ، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ ـ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ ـ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ يَقُولُ : « إِذَا أَسْلَمَ العَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ ، يُكَفِّرُ اللَّـهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا ، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ القِصَاصُ : الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ اللَّـهُ عَنْهَا ».

وَقَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ ـ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : « إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلاَمَهُ : فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا ».

« الشَّـرْحُ » :

حسن الإسلام معناه: الاستمرار عليه والعمل بتعاليمه؛ فيقال هذا إسلامه حسن هذا أحسَنَ في الإسلام فإذا وفق الله العبد فأسلم ودخل في دين الله فإن الله –تعالى– يمحو عنه سيئاته ولو كانت كفرا وشركا يمحوها بهذا الإسلام إذا كان إسلاما حسنا جاء في الحديث : « **الإسلام يهدم ما قبله؛ والهجرة تهدم ما قبلها والتوبة تهدم ما قبلها** » فإذا كان الإسلام يجبّ ما قبله فإنه يكفّر عنه كل ما كان قد عمله من قبل.

ذكر ذلك في حديث عمرو بن العاص لما أراد أن يسلم ويبايع النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: أريد أن أشترط! تشترط! تشترط ماذا؟ فقال أن يمحو الله عني ما كنت أعمله أي السيئات التي عملتها فيما سبق وكان قد آذى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مع جملة من آذاه وكان قد أشرك بالله فقال له النبي: –صلى الله عليه وسلم– : « **أما علمت أن الإسلام يجبّ ما قبله** » –يعني– يكفر ما قبله من الذنوب ولو كانت كفرا وشركا.

فيقول: في هذا الحديث إن العبد إذا أسلم وحسن إسلامه فإن الله –تعالى– يغفر له كل سيئة كان زلفها –يعني– كان قدَّمها وقد عملها فيما سبق كل سيئة كان زلفها يغفرها الله ويمحو عنه أثرها؛ ثم بعد ذلك يجازيه على ما يعمله بعد الإسلام فيثيبه على الحسنة بعشر وعلى السيئة بواحدة إلا أن يغفرها الله؛ فالله –تعالى– ذكر مضاعفة الحسنات قال تعالى: ﴿ مَنْ جَاءَ

بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾.

فهذا من فضل الله -تعالى- أنه يجعل الحسنة بعشر أمثالها فيزيدها لعبده إذا حسن إسلامه؛ وأما السيئة فتأبى حكمته أن يزيد فيها فلا يثيبه ولا يعاقبه إلا على سيئة واحدة يثيبه على الحسنة بعشر أمثالها وعلى السيئة بمثلها وقد يتجاوزها الله -تعالى- ويمحوها ولا يهلك على الله إلا هالك؛ وكذلك لا شك أن الحسنات يضاعفها الله -تعالى- زيادة على العشر في بعض الأسباب كالحسنات في رمضان يضاعفها الله أضعافا كثيرة؛ في بعض الأحاديث أن الله -تعالى- يقول: أو النبي -صلى الله عليه وسلم- : « **كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة قال الله -تعالى- إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به** ».

-يعني- أنه قد يضاعف الحسنة إلى سبعمائة ضعف كما ذكر ذلك في النفقة في سبيل الله أن النفقة في سبيل الله تضاعف إلى سبعمائة ضعف في قوله: ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ﴾ -يعني- حبة واحدة أنبتت سبع مائة حبة فكذلك المضاعفة في الأوقات الفاضلة كرمضان وفي الأماكن الفاضلة كالحرمين فإن المضاعفة فيهما أضعافا كثيرة؛ كذلك أيضا السيئة لا يضاعفها ولكن إذا كانت في مكان محترم أو وقت محترم فإنه يعظمها يعظم ذنبها يعظم جرمها ويعاقب عليه عقوبة أشد من العقوبة التي على تلك السيئة في غير ذلك المكان أو في غير ذلك الزمان وذلك لأنه امتهن الأماكن المقدسة ولم يعطها حرمتها.

بَابٌ : أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَدْوَمُهُ.

قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، حَدَّثَنَا يَحْيَى ، عَنْ هِشَامٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبِي ، عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهَا ـ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ ، قَالَ : « مَنْ هَذِهِ ؟ » قَالَتْ : فُلاَنَةُ ، تَذْكُرُ مِنْ صَلاَتِهَا ، قَالَ : « مَهْ ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ ، فَوَاللَّـهِ لاَ يَمَلُّ اللَّـهُ حَتَّى تَمَلُّوا » وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَادَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ.

« الشَّـرْحُ » :

هكذا جاء لما أن هذه المرأة التي عند عائشة مدحتها بأنها تكثر الصلاة -يعني- صلاة التطوع أنكر ذلك وقال : « **مه اكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا** » (الملل) الكراهة -يعني- لا يكره العمل حتى تكرهوه وإذا كرهتموه واستثقلتموه فإن الله يكرهه لكم وذلك لأن الإنسان إذا استثقل العمل لم يكن مطمئنا إليه فلا يكون محبا له وراغبا فيه فلذلك لا يكلف الإنسان نفسه ولا يشق عليها وإنما يعمل العمل الذي يطيقه ويقدر عليه هذا هو الأصل : « **اكلفوا من العمل ما تطيقون** ».

كان -صلى الله عليه وسلم- أحب العمل إليه ما داوم عليه صاحبه ولو كان قليلا؛ لأن العمل المستمر أكثر من العمل المنقطع ولو كان العمل المستمر قليلا ليكون الإنسان عامرا حياته بعمل صالح يتقرب به إلى الله -تعالى-.

بَابُ زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِه.

بَابُ زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ وَقَوْلِ اللَّـهِ تَعَالَى : ﴿ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾،﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ وَقَالَ : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فَإِذَا تَرَكَ شَيْئًا مِنَ الكَمَالِ فَهُوَ نَاقِصٌ.

حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا هِشَامٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا قَتَادَةُ ، عَنْ أَنَسٍ ـ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ ـ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ ».
قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّـهِ : قَالَ أَبَانُ ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ ، حَدَّثَنَا أَنَسٌ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : « مِنْ إِيمَانٍ » مَكَانَ « مِنْ خَيْرٍ ».

حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ ، سَمِعَ جَعْفَرَ بْنَ عَوْنٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو العُمَيْسِ ، أَخْبَرَنَا قَيْسُ بْنُ مُسْلِمٍ ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ، أَنَّ رَجُلًا ، مِنَ اليَهُودِ قَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا ، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ ، لاَتَّخَذْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ عِيدًا . قَالَ : أَيُّ آيَةٍ ؟ قَالَ : ﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ قَالَ عُمَرُ : « قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ ، وَالمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ».

« **الشَّـرْحُ** » :

ذكر زيادة الإيمان وأورد عليه البخاري أدلة من القرآن كقوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ **فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّـهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾ وفي سورة الأنفال : ﴿ **وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا** ﴾ وفي سورة التوبة : ﴿ **أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ** ﴾ وفي سورة المدثر : ﴿ **وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**﴾ يقول لا شك أنه إذا كان يزيد دل على أن الأعمال من مسمى الإيمان لأن الأعمال هي التي يزيد بها هي التي يزيد الله تعالى العبد بها إذا كلما تزود من الأعمال الصالحة زاد إيمانه.

ولا شك أنه إذا كان يقبل الزيادة فإنه يقبل النقصان، كل شيء يقبل الزيادة فإنه يقبل النقصان فزيادة الإيمان بالأعمال الصالحة ونقصانه بالسيئات؛ فقراءة القرآن زيادة في الإيمان؛ وقراءة الغناء والطرب نقص في الإيمان؛ سماع الذكر والقرآن

والخير يزيد به الإيمان؛ سماع اللهو واللعب والقيل والقال نقص في الإيمان؛ تسبيح الله تعالى وذكره زيادة إيمان؛ السباب والشتم والغيبة والنميمة نقص في الإيمان، وهكذا.

من الأدلة أيضا تفاوت أهل الإيمان حيث إن النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر بأن بعض من يدخل النار معهم إيمان ولكنه إيمان ضعيف فيخرجون لأجل الإيمان الذي معهم فيخرج الله من كان في قلبه مثقال شعيرة حبة شعير من إيمان ماذا تزن؟ شيئا يسيرا؛ ثم يقول أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال برة حبة من بر ماذا تزن؟ ولكنها تكون من جملة الإيمان؛ كذلك أيضا يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة. (الذرة) هي النملة الصغيرة يخرجه الله -تعالى- من النار وذلك دليل على أن الإيمان يتضاعف وهناك من يكون الإيمان في قلبه أرسى من الجبال وأثقل من الصخور وهناك من لا يكون في قلبه إلا مثقال ذرة أو نحوها وهناك من لا يكون في قلبه شيء وهم الكفار ونحوهم، فالحاصل أن هذا دليل على أن أهل الإيمان يتفاوتون وأما الآية الكريمة : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾ يدل على أن من لم يأت بالدين كله فإنه لا يكون دينه كاملا.

كانت الشريعة تنزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- شيئا فشيئا كلما أَلِفُوا شيئا فرضه الله عليهم؛ وكان آخر ما فرض عليهم الحج؛ الحج إلى البيت فحج النبي -صلى الله عليه وسلم- وبين للناس مناسكهم وبعدما وقف بعرفة وتمت هذه الحجة وتم هذا النسك أنزل الله عليه هذه الآية في سورة المائدة :﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ يوم شريف لما سمعها بعض اليهود قالوا: ذلك اليوم الذي نزلت عليكم هذه الآية يوم شريف لو كانت نزلت علينا لجعلنا ذلك اليوم عيدا فأخبرهم عمر -رضي الله عنه- بأنه يوم عيد لنا نزلت عليه بيوم عرفة الذي هو أفضل أيامنا والذي وافق أيضا يوم جمعة.

فيكون ذلك دليل على أنه فرضه الله -تعالى- وأنه جعله عيدا للمسلمين يحتفلون فيه ويجتمعون فيه في ذلك المكان العظيم؛ ذكر الله -تعالى- أنه في ذلك اليوم أكمل الدين فيدل على أن من لم يأت بالدين كله الذي فرضه الله فإنه يعتبر قد نقص من دينه نقص من عبادته ونقص من ديانته فلا يكون دينه كاملا بل يكون ناقصا وهذا دليل على أن الإسلام والدين والإيمان يتفاوت أهله.

فمثلا الذي ما أتى بالحج لا يزال دينه ناقصا سيما إذا كان قادرا عليه أما إذا أتى به فإن الله -تعالى- إذا كمل الدين أركان الإسلام فإنه يكون دينه كاملا وافيا فكل من نقص شيئا من تعاليم الدين نقص دينه ومن كملها كمل دينه إذا قبله الله تعالى، نقف هاهنا .

بَابٌ : الزَّكَاةُ مِنَ الإِسْلَامِ.

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن الله –تعالى– خاطب هذه الأمة باسم الإيمان يناديهم بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ويقول: ابن عباس –رضي الله عنه– وابن مسعود إذا سمعت الله –تعالى– يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فأرعها سمعك أو فأصغ لها سمعك فإنما هو خير تؤمر به أو شر تنهى عنه. من ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا ﴾ هذا تأديب من الله للمؤمنين؛ خص بذلك المؤمنين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّـهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ الخطاب لكل مؤمن كل المؤمنين المراد الذين عرفوا صحة نبوة النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– وصدقوا ما جاء به ووحدوا الله التزموا بتوحيده ناداهم الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّـهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّـهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ الخطاب لكل المؤمنين المتقدمين والمتأخرين كل المؤمنين يقال لهم يا مؤمنون ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ هذا يعمّ جميع المؤمنين.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ﴾ –يعني– فرض عليكم ... ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ الخطاب لكم أيها المؤمنون؛ وكذلك قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ أي ادخلوا في الإسلام الخطاب لكم أيها المؤمنون وهكذا مثل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ الخطاب لكم أيها المؤمنون أنفقوا وكذلك قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّـهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ وكذلك : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾.

هذه آيات من سورة البقرة افتتحها الله بالخطاب للمؤمنين والآيات كثيرة في بقية السور يخاطب الله –تعالى– فيها المؤمنين يقول بعض العلماء: إن الخطابات في السور المكية جاءت بـ (يا أيها الناس) وذلك لأنها خطاب للناس جميعا وبـ (يا أيها الذين آمنوا) في السور المدنية لأنها خطاب لمن دخل في الإيمان لمن آمن من هذه الأمة ولا شك أن المؤمنين هم الذين يقبلون وهم الذين يلتزمون فيقال لهم: إنكم قد أمرتم بكذا وكذا فعليكم الامتثال إذا أمركم الله بأمر فافعلوه إذا كنتم مؤمنين؛ من المعلوم أنهم إذا كانوا مؤمنين فإنهم يلتزمون يقولون سمعنا وأطعنا سمعا وطاعة لكلام الله ولأمره وذلك لأنهم آمنوا إيمانا صادقا.

ولذلك أخبر الله عنهم قال تعالى: في آخر سورة البقرة: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي والمؤمنون آمنوا بما أنزل إليه من ربهم : ﴿ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّـهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ كلهم آمنوا بالله إلها وربا وخالقا ومعبودا يقولون آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله وآمنا برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله –صلى الله عليه

وسلم- وآمنوا بالكتب المنزلة لأن فيها شرع الله فآمنوا بها واعتقدوا أنها من الله وأنه الذي شرعها وأنه الذي أمر بما فيها وأن ما فيها كله حق يجب قبوله.

وآمنوا باليوم الآخر واستعدوا له وآمنوا بالملائكة وصدقوا ما جاء عنهم من الصفات وآمنوا بالكتب المنزلة السابقة فكل ذلك داخل في قوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ يا أيها المؤمنون بالله؛ يا أيها المؤمنون بكتابه؛ يا أيها المؤمنون برسله؛ يا أيها المؤمنون بملائكته؛ يا أيها المؤمنون بالمعاد والبعث بعد الموت؛ افعلوا ما أمرناكم به؛ وقد ذكر الله -تعالى- خصال الإيمان فذكر منها خمسة في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ** ﴾.

ذكر أربع خصال آمن بالله والملائكة والكتاب والنبيين فجعل هذا كله من خصال الإيمان : ﴿ **وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** ﴾ يعني البعث بعد الموت والملائكة يعني وآمن بالملائكة وآمن بالكتاب يعني جنس الكتب وآمن بالنبيين يعني بما أنزل على النبيين فهذه خمسة أركان من أركان الإيمان لا يتم إلا بها فمن آمن بها فإنه يكون من أهل السعادة ويكون مطيعا لله -تعالى- ومتبعا لما جاء عنه.

وأما من ترك أو جحد شيئا منها فليس بصادق الإيمان أو ليس بكامل الإيمان فمن جحد البعث بعد الموت فقد كفر وذلك لأن الله -تعالى- أكده في مواضع كثيرة وأقسم عليه في ثلاث آيات من القرآن الآية الأولى: في سورة يونس قال الله تعالى: ﴿**وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ** ﴾ أقسم بربه أي احلف لهم بربك أنه حق يعني أن البعث بعد الموت والجزاء على الأعمال حق وصدق لا خلف فيه هكذا أمره في هذه الآية بالحلف.

وفي سورة سبأ يقول الله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بلى وربي لَتَأْتِيَنَّكُمْ** ﴾ أقسم بربه أن الساعة آتية كما قال الله تعالى لموسى : ﴿ **إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا** ﴾ الساعة يعني وقتها وقيامها فأخبر بأنها آتية وأمره بأن يحلف بربه لما قالوا : ﴿ **لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بلى وربي لَتَأْتِيَنَّكُمْ** ﴾.

الموضع الثالث في سورة التغابن : ﴿ **زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ** ﴾ أمره بأن يحلف بربه لما ذكروا أنهم لا يبعثون وأن من مات منهم فإنه لا يعود ولا يعود إلى الحياة فأمره بأن يحلف بربه : ﴿ **قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّـهِ يَسِيرٌ** ﴾ فالإيمان بالبعث بعد الموت وباليوم الآخر أحد أركان الإيمان لا يتم إلا به ومن كذب بالبعث كفر وذلك لأنه كذب خبر الله حيث أخبر في آيات كثيرة بأنكم مبعوثون ومحاسبون بأعمالكم ومجزيون بها إن خيرا فخير وإن شرا فشر كثيرا ما يرد قرن الإيمان بالله باليوم الآخر يقتصر على ركنين الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر.

جاء ذلك في عدة أحاديث مثل قول النبي -صلى الله عليه وسلم- : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه؛ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره؛ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت** » اقتصر على ركنين

الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر ومثله قوله -صلى الله عليه وسلم- : « **لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج** » اقتصر على الإيمان بالله واليوم الآخر.

وقال -صلى الله عليه وسلم- : « **لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم** » ذكَّرها بالإيمان بالله واليوم الآخر.

وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة يقتصر على الإيمان بالله واليوم الآخر؛ وذلك لأن الإيمان بالله يدخل فيه بقية أركان الإيمان؛ فيدخل فيه الإيمان بوحدانية الله -يعني- يدخل فيه الإيمان بأن الله -تعالى- واحد أحد؛ ويدخل فيه الإيمان بعبادته أي أنه المستحق للعبادة يؤمن بأنه هو المعبود وحده والمدعو والمرجو والمحبوب والمتوكل عليه وحده؛ ويدخل فيه الإيمان بأسمائه وصفاته وأن له الأسماء الحسنى والصفات العلا.

ويدخل فيه الإيمان بأحكامه بأنه الذي أمر ونهى والذي حكم وعدل؛ ويدخل فيه الإيمان بأمره ونهيه ووجوب امتثال الأمر وامتثال النهي فمن آمن بالله عبده وأطاع رسله واتبع شرعه واستعد للقائه وصدق بخبره وقبل كلامه وعمل بما فيه وأطاعه ولم يعصه؛ ومن آمن باليوم الآخر -يعني- صدق به تصديقا قويا فإنه يستعد للقائه يعمل للآخرة؛ يعمل لما بعد الموت لأنه صدق بأنه يعذب أو ينعم في قبره وصدق بأنه أيضا يُبعث بعد موته ولو تفرقت أشلاؤه ولو أكله الدود ولو أكله التراب ولو صار رميما يبعثه الله ويعيده حيا كما كان.

وصدق بيوم القيامة وأن الله يجمع فيه الأولين والآخرين وأنهم يجتمعون في ذلك اليوم كلهم يُسمعهم الداعي وينفذهم البصر؛ وصدق أيضا بأنه يجازي كل عامل بعمله فيجازي المحسنين بإحسانهم والمسيئين بما يستحقون كما قال الله تعالى: ﴿ **لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى** ﴾ وصدق بأنه -تعالى- يدخل أولياءه الجنة وأعداءه النار؛ وصدق بالنار وما فيها مما أخبر الله -تعالى- من العذاب الشديد كقوله تعالى: ﴿ **سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ** ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿ **كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا** ﴾ وبما فيها من الشراب الحار شديد الحرارة قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ** ﴾ ، ﴿ **يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ** ﴾ (المهل) هو دردي الزيت -يعني- حثالته وأنه شديد الحرارة ﴿ **يَشْوِي الْوُجُوهَ** ﴾ إذا قربه إلى وجهه من شدة حره انشوى وجهه وإذا شربه يقطع أمعاءه.

كما في الآية الأخرى يقول الله تعالى: ﴿ **وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ** ﴾ (حميما) -يعني- شديد الحر؛ وكذلك ما فيها مما ذكره الله في قوله: ﴿ **حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ** ﴾ وصدق بالجنة وما فيها من النعيم الذي ذكره الله مثل قوله تعالى: ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ ومثل قوله تعالى: ﴿ **وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ وقوله: ﴿ **يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ** ﴾ صدق بذلك فإن هذا هو الذي يجب على المؤمن أن يصدق به كله ويكون هذا من الإيمان الذي هو ركيزة في القلوب.

فلذلك نقول إن المؤمنين حقا: هم الذين يقبلون كل ما جاءهم عن الله سبحانه –وتعالى– ويعملون به ولا يتركون شيئا من خصال الإيمان إلا عملوا بها؛ هذا هو الذي يجب على المؤمن؛ ولما كان كذلك اهتم علماء الأمة اهتموا بهذا الأمر الذي هو الإيمان وذلك لأن فيه ترسيخ العقيدة في القلب ومتى رسخت في القلب انبعثت في الجوارح وعمل الإنسان عمل بما أعطاه الله وبما أمره به؛ منهم الإمام البخاري –رحمه الله– فإنه اهتم بأمر الإيمان وقدمه في أول كتابه بعد المقدمة وذكر أن الأعمال من مسمى الإيمان فهو قال مثلا باب: قيام ليلة القدر من الإيمان وأورد فيه حديثا ثم قال باب: الجهاد من الإيمان وأورد فيه حديثا.

باب: قيام ليالي رمضان من الإيمان وأورد الدليل باب: صيام رمضان من الإيمان وأورد فيه حديثا؛ وكذلك بقية خصال الأعمال فيقول هنا

بَابٌ : الزَّكَاةُ مِنَ الإِسْلاَمِ

–يعني– الإسلام خصلة من خصال الإيمان أو أن الإسلام والإيمان قد يترادفان إذا ذكر الإسلام وحده دخل فيه الإيمان؛ وإذا ذكر الإيمان وحده دخل فيه الإسلام؛ استدل هاهنا بقوله تعالى :

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّـهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ جعل الزكاة من خصال الإيمان وجعلها من الإسلام وجعلها من الدين؛ وهو دليل على أن الدين يشمل بقية أركان الإسلام وأركان الإيمان وغيرها ﴿ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ أي دين الملة القيمة؛ أو دين الحنيفية القيمة؛ منه عبادة الله مخلصين له الدين، (الإخلاص) هو التصفية –يعني– أن دينكم لله وحده خالصا وهو من الدين إقام الصلاة من الدين إيتاء الزكاة من الدين.

ثم يقول بعد ذلك:

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ـ وهو ابن أبي أويس ـ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ، عَنْ عَمِّهِ أَبِي سُهَيْلِ بْنِ مَالِكٍ ، مالك هو ابن أنس بن مالك الأصبحي ؛ روى هذا الحديث عن عمه أبي سهيل بن مالك عَنْ أَبِيهِ مالك الأصبحي ، أَنَّهُ سَمِعَ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّـهِ ، يَقُولُ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ –يعني– منتشر الرأس كأنه كان مكشوفا رأسه وكان رأسه شعثا فجاء إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

فلما أقبل وإذا له دوي يقول طلحة نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول حتى دنا إلى رسول الله ﷺ فإذا هو يسأل عن الإسلام يسأل عن خصلة من دينه وهو الإسلام. النبي ﷺ ذكر له الصلاة فقال : « خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ».

فَقَالَ : هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا ؟ قَالَ : « لاَ ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ ».

قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : « وَصِيَامُ رَمَضَانَ ».
قَالَ : هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ ؟ قَالَ : « لاَ ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ ».
قَالَ : وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ الزَّكَاةَ ، قَالَ : هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا ؟ قَالَ : « لاَ ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ ».

ما ذكر طلحة في هذا إلا ثلاثا من أركان الإسلام الصلاة والزكاة والصيام وذلك لأن طلحة كأنه لم يفقه كلامه كاملا ولم يفقه كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فذكر هذه بالمعنى فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ : وَاللَّـهِ لاَ أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلاَ أَنْقُصُ ، فقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : « أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ».

النبي -صلى الله عليه وسلم- فسر الإسلام في هذا الحديث بهذه الخصال الصلاة والزكاة والصوم والتزم ذلك الرجل أنه لا ينقص ولكن التزم بأنه لا يزيد؛ وليس المراد أنه لا يتطوع ولكن المراد أنه لا يضيف إليها غيرها ولا يجعل معها سواها فلا يبتدع بدعة الصلوات خمس فكأنه يقول ألتزم بالخمس ولا أجعلها ستا ولا سبعا؛ وكذلك ألتزم بالزكاة ولا أجعلها مغرما.

ألتزم بالصيام ولا أجعله أربعين يوما مثلا ولا أجعله في غير رمضان؛ ولكن لا يلزم أنه لا يتطوع لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد أخبره بأن له أن يتطوع؛ له أن يزيد تطوعا فلا يلزم أنه لا يصلي النوافل ولا يصلي التهجد ولا يصلي الضحى بل يمكن أنه التزم بذلك كله التزم بالفرائض وبالتطوع.

ولذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم- : « أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ» -يعني- إذا التزم وأدى ما أمر به وتجنب ما نهي عنه فقد أفلح -يعني- فاز (والفلاح) هو الفوز؛ ففي هذا الحديث أن الإسلام تدخل فيه هذه الأركان؛ قد ثبت أيضًا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- فسره؛ فسر...

...من أخل بشيء منها فإنه يعتبر قد نقص من إيمانه، نقص شيئا من دينه، فعليه أن يحرص على تكملة ما عنده وما بقي له من أمر الدين.

بَابٌ : اتِّبَاعُ الجَنَائِزِ مِنَ الإِيمَانِ.

ذكر بعد ذلك الباب الخامس والثلاثين اتباع الجنائز من الإيمان.

يقول:

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّـهِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَنْجُوفِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا رَوْحٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَوْفٌ ، عَنِ الْحَسَنِ ، وَمُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ قَالَ : « مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيَفْرُغَ مِنْ دَفْنِهَا ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ ».
تَابَعَهُ عُثْمَانُ الْمُؤَذِّنُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَوْفٌ ، عَنْ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ.

« **الشَّـرْحُ** » :

اتباع الجنائز يعني تشييعها والسير معها إلى أن تدفن، وهو من حقوق المسلمين بعضهم على بعض، أن المسلم عليه حق لإخوانه المسلمين، جاء في حقوق المسلمين قول النبي –صلى الله عليه وسلم– : « **للمسلم على المسلم ست بالمعروف، تسلم عليه إذا لقيته، وتجيبه إذا دعاك، وتشمته إذا عطس، وتعوده إذا مرض، وتتبع جنازته إذا مات، وتحب له ما تحب لنفسك** ».

وفي هذا الحديث أنه جعل هذه الخصلة من الإيمان، فيقول: « **من تبع جنازة مسلم إيمانا واحتسابا** » يعني اتبع جنازة أخيه المسلم، حمله على اتباعها: الإيمانُ والاحتسابُ. الإيمان بالله تعالى، يعني بخبره، أنه أمر بذلك ورغب فيه، واحتسابا يعني طلبا للأجر. هكذا جاء في روايات وفي خصال مثل قوله: « **من صام رمضان إيمانا واحتسابا** » ، « **من قام رمضان إيمانا واحتسابا** » ،« **من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا** » يعني جعل ذلك من الإيمان، جعل اتباع الجنائز من الإيمان؛ يعني أنه مؤمن بأنها عبادة، وفيها أجر، وله فيها رغبة في الخير، حمله على ذلك الإيمان والاحتساب؛ فله هذا الأجر.

ذكر أنه إذا تبعها حتى يصلى عليها فله قيراط، وسئل: ما هو القيراط؟ فقال: « **مثل جبل أحد** » ؛ يعني أجر كبير، مثل جبل أحد من الأجر، وأما إذا تبعها حتى تدفن ويفرغ من دفنها فله قيراطان، قيراط على الصلاة عليها، وقيراط على اتباعها وتشييعها إلى أن تدفن، ولا شك أن هذا أجر كبير وثواب عظيم إذا وفق الله تعالى العبد له.

لَّما حدث أبو هريرة رضي الله عنه بهذا أنكره بعضهم، روي عن ابن عمر أنه استنكر ذلك وقال: أكثر علينا أبو هريرة ثم إنه أرسل إلى عائشة هل سمعت هذا من النبي –صلى الله عليه وسلم–؟ فقالت: نعم. يعني صدقته، وذكرت أنه قد حدث به، وأنه قد قاله، فابن عمر يقول: لقد فرطنا في قراريط كثيرة. يعني أنه لم يكن يتبعها دائما، فالتزم بعد ذلك أن يتبع كل جنازة إذا صُلي عليها إلى أن تدفن، فهذا دليل على اهتمام الصحابة –رضي الله عنهم– بالأعمال التي يكون فيها الأجر.

بعد ذلك قال:

بَابُ خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ.

حبوط العمل له أسباب، من ذلك:

فعل بعض المعاصي، كقوله تعالى: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾.

ومن ذلك: قوله –صلى الله عليه وسلم– : « **من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله** » يعني بطل أجره، وقال الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّـهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ كرهوا ما أنزل الله؛ واتبعوا ما أسخط الله، وكرهوا رضوانه؛ فأحبط أعمالهم.

نقل البُخاريُّ عن إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ ـ رَحِمَهُ اللَّـهُ ـ قالَ : « مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلَّا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّبًا ».

وهذا من تمام المعرفة.

يقول: إني أقول قولا كثيرا، ولا أعمل به، فأخشى أن أكون مكذبا، وهذا من قوة الخوف؛ يعني كلنا كذلك نقول أقوالا؛ ولكن لا نعمل بها كلها، نرغب في كثير من الخيرات والحسنات ولا نستطيع أن نعمل بها أو نأتي بها كلها، لا شك أن هذا واقعنا كثيرا، فإبراهيم التيمي –رحمه الله– يقول: ما عرضت قولي –يعني– كلامي للناس، على عملي –يعني– على أعمالي التي أعملها؛ أحث –مثلا– على قيام الليل ولا أقومه، وأحث على كثرة القراءة ولا آتي بها، وأحث على كثرة الذكر وأكون مقصرًا فيه، وأشباه ذلك، يقول: فأخشى أن أكون مكذبا.

وَنَقَل عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ : « أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ : إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ ».

وهذا من شدة الخوف.

يقول بعض العلماء: من كان بالله أعرف كان منه أخوف.

هكذا يكون الخوف من الله تعالى؛ الخوف الشديد، من كان بالله أعرف كان منه أخوف. فهؤلاء ثلاثون من الصحابة أدركهم ابن أبي مليكة كلهم يخاف النفاق على نفسه.

رُوي أن عمر –رضي الله عنه– سأل حذيفة وكان حذيفة صاحب السر، أسر إليه النبي صلى الله عليه وسلم أسماء بعض المنافقين، فأخبره ببعض أسمائهم، فيقول عمر أسألك بالله يا حذيفة هل عدَّني رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من المنافقين؟

فقال: لا ولا أزكي بعدك أحدا. يقول: إنه ما عدك، وأني لا أزكي أحدا، إذا كنت تخاف على نفسك.

يقول: إنهم ما منهم من أحد يقول: إن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل .

أي كإيمان الملائكة؛ وذلك لأنهم قد يفعلون بعض الأفعال المباحة أو المكروهة عن طريق الاجتهاد؛ فيكونون بذلك أخلوا بقوة الإيمان.

وَيُذْكَرُ عَنِ الحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ـ رَحِمَهُ اللَّـهُ ـ يقول عن النفاق: « مَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلاَ أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ ». يعني المؤمن يخاف من النفاق، يخاف أن يحبط عمله؛ لأن النفاق كفر؛ ولأن نفاقه إخفاء الكفر وإظهار الإيمان، أما المنافقون فإنهم يأمنونه؛ ولأجل ذلك يمدحون أنفسهم ويزكون أنفسهم.

يقول: وَمَا يُحْذَرُ مِنَ الإِصْرَارِ عَلَى التقاتل وَالعِصْيَانِ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ ، لِقَوْلِ اللَّـهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.

يقول البخاري إن المؤمن يحذر من الإصرار على المعاصي، على التقاتل وعلى المعاصي ولا يتوب، والإصرار يصير الذنب الصغير كبيرا.

ثم يروي حديثا:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَرْعَرَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ زُبَيْدٍ ، قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ عَنْ الْمُرْجِئَةِ ، فَقَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّـهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ قَالَ : « سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ ».

المرجئة هم الذين يخففون أمر المعاصي، ويقولون: إنها لا تضر، إن المعاصي لا تضر مع الإيمان، إذا كان الإنسان مؤمنا فلو أكثر من المعاصي ما تضره، ويعتمدون على آيات الرحمة، ويقول قائلهم:

فكثِّر ما استطعت من المعاصي * * * إذا كـان القـدوم علـى كـريم

فنقول لهم: لا تعتمدوا على آيات الرحمة، فإن الله تعالى وصف نفسه بالرحمة، ووصف نفسه بالعذاب؛ ولذلك يجمع بينهما كقوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ جمع بينهما؛ أي أنه واسع الرحمة، وأنه شديد العقاب، فأنتم أيها العصاة لا تقنطوا من رحمته، وأنتم أيها المؤمنون لا تجزموا وتزكوا أنفسكم، وكذلك أنتم أيها العصاة لا تأمنوا من عذابه، فإنه يعاقب على كثير من المعاصي.

في هذا الحديث يقول: « **سباب المسلم فسوق وقتاله كفر** » سبابه يعني سب المسلم أخاه المسلم، فوصفه بأنه فسوق، الفسوق هو الخروج عن الطاعة. وقد يصل إلى التعذيب، قال تعالى: ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ** ﴾ يعني أن الفسوق قد يخرج من الملة. وقتاله كفر: إذا قاتله واستحل قتاله فسق وكفر، فهذا يرد على المرجئة.

وأول المرجئة الجهم بن صفوان فإنه جمع ثلاث خصال:

الخصلة الأولى: أنه قال بالتعطيل؛ أي- عطل الله تعالى عن صفات الكمال.

الخصلة الثانية: أنه جبري، يقول: إن الناس مجبورون على أعمالهم، ليس لهم اختيار.

الخصلة الثالثة: يقول بالإرجاء، يقول: إن المعاصي ما تضر، وأن الإنسان إذا كان موحدا يأتي بالشهادتين فإن ذلك لا يضره؛ ولو عمل أي عمل.

لا شك أن هذا تهاون بطاعة الله تعالى، وتجرؤ على معصية الله عز وجل.

ثم يقول :

أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ ، عَنْ حُمَيْدٍ ، حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ خَرَجَ يُخْبِرُ بِلَيْلَةِ القَدْرِ ، فَتَلاَحَى رَجُلاَنِ مِنَ المُسْلِمِينَ فَقَالَ : « إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ القَدْرِ ، وَإِنَّهُ تَلاَحَى فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ ، فَرُفِعَتْ ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ ، التَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ وَالتِّسْعِ وَالخَمْسِ ».

هكذا يقول أو يبين أن من آثار المعاصي هذا الحرمان، هذا أثر من آثار المعاصي، هذه المعصية أي الملاحاة، تلاحى رجلان تخاصما وتنازعا وتجادلا ورفعا أصواتهما، فكان من آثار ذلك أن رفع الخبر بليلة القدر، ولم يخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- بها بعد أن كان قد هم بأن يخبر بها، أو عرف أنها قد عينت له؛ ومع ذلك لما تلاحى هذان الرجلان رُفعت.

لا شك أن هذا دليل على أن المعاصي لها تأثير على المسلمين.

وبكل حال نعرف أن المعاصي تضر أهلها، وأنها سبب في حبوط الأعمال، وأن الإنسان إذا عمل معصية فقد يكون من آثارها حُبوط عمله، وبطلان عباداته، كما أنه إذا اجتهد في الأعمال الصالحة فإن الله تعالى يثبته ويزيده ثباتا. لعلنا نقف هاهنا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، سيدنا ونبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

قال المؤلف ـ رَحِمَهُ اللَّـهُ تَعَالَى ـ :

بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الإِيمَانِ ، وَالإِسْلاَمِ ، وَالإِحْسَانِ ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ وَبَيَانِ النَّبِيِّ ﷺ لَه

ثُمَّ قَالَ : « جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ » فَجَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ دِينًا ، وَمَا بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ لِوَفْدِ عَبْدِ القَيْسِ مِنَ الإِيمَانِ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾.

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، أَخْبَرَنَا أَبُو حَيَّانَ التَّيْمِيُّ ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ : مَا الإِيمَانُ ؟ قَالَ : « الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّـهِ وَمَلاَئِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَبِلِقَائِهِ ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ ».

قَالَ : مَا الإِسْلاَمُ ؟ قَالَ : « الإِسْلاَمُ : أَنْ تَعْبُدَ اللَّـهَ ، وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ».

قَالَ : مَا الإِحْسَانُ ؟ قَالَ : « أَنْ تَعْبُدَ اللَّـهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ »،

قَالَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ : « مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا : إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا ، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ البُهْمُ فِي البُنْيَانِ ، فِي خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّـهُ » ثُمَّ تَلاَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّـهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ الآيَةَ ، ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ : « رُدُّوهُ » فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا ، فَقَالَ : « هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ ».

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّـهِ : جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنَ الإِيمَانِ.

« الشَّـرْحُ » :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يفسر الإسلام بأنه الأعمال الظاهرة، والإيمان بأعمال القلب، وهذا إذا جمعا، إذا ذكرا جميعا.

فالإسلام: هو الأعمال الظاهرة، والإيمان: هو أعمال القلب، كما في هذا الحديث؛ وذلك لأن الإيمان يفسر بالاعتقاد، والإسلام يفسر بالاستسلام.

وأصل المسلم أنه هو الذي يسلم أمره لربه، وهو الذي ينقاد لما أمر به، وهو الذي يفعل الأعمال الظاهرة التي كلف بها، وأما الإيمان فإن أصله العقيدة التي تكون في القلب.

ذُكر أن الصحابة كانوا يستحيون من النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يسألوه، ويحترمونه، فجاء جبريل -ملك الوحي- في صورة رجل، ذكر في الحديث أنه جاء في صورة رجل أعرابي؛ ولكن مع ذلك ما رأوا عليه أثر السفر، ما جاء من بعيد، وكذلك ما عرفه أحد منهم، مما يدل على أنه غريب.

لما جلس إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- سأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، يعني عن كل واحد منهما، النبي -صلى الله عليه وسلم- ذكر له ذلك، وبين أن هذا كله من الدين.

فأولا- في هذا الحديث أنه سأله عن الإيمان، يعني حقيقة الإيمان ومنبعه، فقال: ما الإيمان؟ فسره النبي -صلى الله عليه وسلم- بهذه الأركان؛ ولكنه ما ذكر إلا أربعة أركان، قال: « **أن تؤمن بالله، وملائكته، وبلقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث** » فما ذكر الإيمان بالكتب، ولا بالقدر، وقد ذُكر ذلك في حديث آخر.

فالإيمان بالله تعالى يدخل فيه الإيمان بربوبيته أي أنه هو رب العالمين ومالكهم، ويدخل فيه الإيمان بوحدانيته أي أنه معبودهم وحده، ويدخل فيه الإيمان بأسمائه وصفاته أي أنه عالم الغيب والشهادة، الموصوف بصفات الكمال، والمنزه عن صفات النقص. هذا مما يدخل في الإيمان بالله.

وأما الإيمان بملائكته فهو أن نؤمن بأن لله ملائكةً خلقهم لعبادته، ووصفهم بقوله تعالى: ﴿ **لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُون * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ** ﴾ وأن عددهم كثير، قال تعالى: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ** ﴾ وأنهم ﴿ **لَا يَعْصُونَ اللَّـهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ وأنهم مقربون عنده، وأنهم لا يسألونه عن ما لا يحتاجون إليه، يقول الله تعالى: ﴿ **بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ** ﴾ يعني خائفون من شدة خشيته، يخافونه خوفا شديدا.

والإيمان بلقائه، يعني بلقاء ربنا في الآخرة؛ يعني نؤمن بأننا ملاقوه، قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ** ﴾ يعني راجعون إليه، وقال تعالى: ﴿ **فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا** ﴾ أي مقابلة ربه وملاقاته في الآخرة.

أما الإيمان بالرسل، ذكر الله في القرآن خمسة وعشرين رسولا، مجموعهم الرسل الذين ورد ذكرهم؛ مع أن رسل الله كثير، قال تعالى: ﴿ **مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ** ﴾ وجاء في حديث أن عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي، منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسل، جم غفير، نؤمن بهم، ونؤمن بأن خاتمهم وآخرهم نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- وأنه أشرف الرسل وأفضل الأنبياء، ونؤمن بأن رسالته باقية، وأن رسالته عامة، عامة إلى الجن والإنس، وإلى البعيد والقريب، وأن شريعته لا تنسخ، ولا نبي بعده.

الإيمان بالبعث هو التصديق بأن الناس إذا ماتوا يبعثون، وأنهم محاسبون ومجزيون بأعمالهم؛ إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. نصدق بذلك، ومن آمن بالبعث فلا بد أن يستعد للقاء الله، لا بد أن يستعد ويتأهب، فإن من صدق بشيء فلا بد أن

يستعد له، والاستعداد هو كون العبد في هذه الحياة يعمل الأعمال الصالحة التي تكون سببا في أن الله تعالى ينجيه في الدار الآخرة من العذاب، ويدخله دار الثواب، والأعمال الصالحة ظاهرة.

أما من يقول: آمنت بالآخرة وصدقت بالبعث ومع ذلك يعمل عمل الفجار، ويفرط أي في الطاعات، ويرتكب المحرمات فمثل هذا ما صدق في قوله: إنه مؤمن بالآخرة؛ لأن الإيمان بالآخرة لا بد أن يظهر أثره على المؤمن.

من أركان الإيمانِ الإيمانُ بكتب الله يعني أنه أنزل كتبا على رسله، وفي تلك الكتب أمره ونهيه، وشرعه، وقضاؤه وقدره، وأخباره، وأسماؤه وصفاته. وآخر تلك الكتب: هو هذا القرآن الذي أنزله الله على نبينا -صلى الله عليه وسلم- كما أن نبينا خاتم الرسل فكذلك كتابه آخر الكتب، وهو مهيمن عليها، قال الله تعالى: ﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** ﴾ يعني محتويا على ما فيها، وكذلك أيضا زائدا على ما فيها، ومفصلا لما فيها، فسماه الله تعالى: مهيمنا، يعني محتويا عليها.

والإيمان به يظهر أثره، من آمن بأنه كلام الله فلا بد أن يظهر أثر هذا الإيمان عليه؛ فيحل حلاله ويحرم حرامه، ويعمل بمحكمه ويؤمن بمتشابهه، ويقف عند عجائبه، ويعتبر بأمثاله، ويصدق بأخباره، ويتلوه حق تلاوته، ويحتسب الأجر في تلاوته، ويقرؤه ويتدبره. هذا أثر من آمن به.

من أركان الإيمانِ الإيمانُ بالقدر خيره وشره، القدر قدرة الله، وهو أن نؤمن بأن الله على كل شيء قدير، وأنه لا يخرج عن قدرته شيء، وأن أعمالنا داخلة في خلقه، قال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ أي خلق ما تعملونه، فنؤمن بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن جميع الكون خلق الله وحده، هو المنفرد بالخلق، والمنفرد بالرزق وبالتدبير، نؤمن بذلك.

هذه أركان الإيمان.. وقد فصلها العلماء مثل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في عقيدته الواسطية، بدأها بالإيمان بالله، ثم ذكر الإيمان بكتبه، وقال: من الإيمان بكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأن هذا هو كلام الله الذي أنزله على نبيه -صلى الله عليه وسلم- وأنه كلام الله حقيقة حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، وأنه كلام الله حيثما قرئ، وحيثما كتب، لا يخرج عن كونه كلام الله، فإن الكلام إنما يضاف إلى من قاله مبتدئا لا إلى من قاله مبلغا مؤديا.

ثم ذكر الإيمان بالبعث بعد الموت، وتفاصيل الآخرة، ثم ذكر أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، ثم ذكر الإيمان بالقدر خيره وشره.

فهذه من تفاصيل ما ذكر في هذا الحديث.

يقول: « **قال ما الإسلام؟** » يعني أخبرني عن الإسلام؛ لأن الإسلام في الظاهر هو الانقياد، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا** ﴾ أسلموا يعني أذعنوا وانقادوا وتذللوا وخضعوا لعظمة الله تعالى وجلاله، فكلهم مستسلمون، لا يخرج أحد منهم عن تصرف ربه. فالإسلام هو الانقياد، وفسره بالأعمال الظاهرة.

فبدأ بالتوحيد « **أن تعبد الله ولا تشرك به** » فهذا هو أصل الإسلام؛ يعني توحيد الله، ومعلوم أنه مأخوذ عن النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– فلا بد من تصديق النبي –صلى الله عليه وسلم– في كل ما جاء به، وبذلك يكون العبد مصدقا ومنقادا ومتبعا ومخلصا عبادته لله لا يصرف شيئا منها لغيره؛ ولهذا قال: « **أن تعبد الله** » يعني أن تصرف جميع أنواع العبادة لله، تدعوه وحده، وترجوه وحده، وتخافه وحده، وتتوكل عليه، وتتوب إليه، وتنيب إليه، وتخشع له، وتخضع له، وتتواضع بين يديه، وتحبه غاية المحبة، وتطلبه، وتستغيث به، وتلجأ إليه، وتعتصم به، وتحتمي بحماه، وتركع له وتسجد، وتقوم له وتقعد، وتتعبد له بجميع العبادات البدنية الظاهرة والباطنة، فهذا هو حقيقة عبادة الله.

« **ولا تشرك به** » أي لا تصرف شيئا من حقه لغيره، لا تجعل له شريكا في عبادته، كما أنه ليس له شريك في ملكه. هذا هو الركن الأول.

الثاني– الصلاة، « **تقيم الصلاة** » يعني تظهر فعلها، إقامتها يعني فعلها، جعلها قائمة يعني ظاهرة، فهذه الصلاة التي هي هذه الصلوات الخمس هي ركن من أركان الإسلام، ولا بد للمسلمين أن يقيموها، فإذا أخلوا بها دلَّ على أنهم لم يستسلموا ولم ينقادوا.

« **وتؤدي الزكاة** » الزكاة حق المال، وهي قرينة الصلاة في كتاب الله، ذكرت معها في أكثر من ستين موضعا من القرآن، فرضها الله تعالى وأمر بها، فلا بد للعباد أن يؤدوها، يؤدوا الزكاة طيبة بها نفوسهم، فإن الله تعالى أعطى الكثير وأرضى، وطلب القليل قرضا، طلب منهم جزءا يسيرا من أموالهم إذا أنعم الله عليهم، وجعل مصرفها فيهم، تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، من باب التسوية بينهم.

قال: الركن الرابع– « **وتصوم رمضان** » يعني هذا الشهر الذي فرضه الله تعالى، قال: ﴿ **فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾ فجعل صيامه عبادة.

ما ذكر في هذا الحديث في هذه الرواية الركن الخامس وهو الحج، ولكنه جاء في حديث آخر، وهو بلا شك من شعائر الإسلام، ولعله لم يذكره في هذه الرواية؛ لأنه لا يجب إلا على القادرين، ولا يجب إلا مرة واحدة في العمر.

والحاصل.. أن الإسلام هو الأعمال الظاهرة، الصلاة والتوحيد والصيام والزكاة والحج، هذه أعمال ظاهرة، فتسمى إسلاما.

بعد ذلك سأل: « **ما الإحسان؟** » .

الإحسان في اللغة الإتقان، إتقان الشيء وتقويته، فإذا كان الإنسان من أهل إتقان العمل صدق عليه أنه من المحسنين، فسره هاهنا بقوله: « **أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك** » هكذا جاء في تفسيره، وهو أن الإنسان يعبد الله كأنه يشاهد ربه، ولا شك أنه إذا كان كذلك فإنه يخضع له ويخشع ويتواضع ويحضر قلبه ولبه بين يدي ربه، بخلاف ما إذا صلى وهو غافل، أو تصدق وهو غافل، أو صام وهو غافل، أو قرأ أو ذكر الله وهو غافل، فإنه يقل إقباله وتقل إنابته، فالذي يعبد الله كأنه يراه لا بد أنه يحرص على إتقان هذه العبادة وتجويدها.

يقول: « **فإن لم تكن تراه فإنه يراك** » إذا لم تكن تراه ونقص أي ما في قلبك من مشاهدته فاعلم أنه يراك.

الحالة الأولى تسمى عين المشاهدة، أن تعبد الله كأنك تراه، أي كأنك تشاهده، وهي أقوى الحالات.

والثانية تسمى عين المراقبة وهو أن تعلم أن الله عليك رقيب، وأنه لا يخفى عليه منك خافية، ومن استحضر أنه بمرأى ومسمع من الله فإنه لا بد أن يقبل بقلبه على عبادة ربه.

هكذا فسر هذه الخصال الثلاث الإسلام، والإيمان، والإحسان.

ذكر العلماء أن أوسعها هي مرتبة الإسلام، وأهل الإيمان خلاصة أهل الإسلام، أما أهل الإحسان فإنهم خلاصة الخلاصة، يعني صفوتهم، فالصفوة والخلاصة هم أهل الإحسان، فكل من كان محسنا فإنه مسلم ومؤمن، وكل من كان مؤمنا فإنه مسلم، وليس كل مسلم مؤمنا، وليس كل مؤمن محسنا، فمن حصل على مرتبة الإحسان صدق عليه أن يقال: هذا مسلم ومؤمن ومحسن، ومن فاتته مرتبة الإحسان قيل: هذا مسلم ومؤمن، ومن فاتته مرتبة الإيمان قيل: هذا مسلم، فمن حصل على الإسلام فاته أن يكون من أهل الإيمان ومن أهل الإحسان، وأما إذا حصل على الإحسان فإنه قد حاز جميع المراتب. هذا هو الجمع بينها إذا جمع بينها.

ثم سأل عن الساعة؛ وذلك لأنهم كانوا يكثرون السؤال: متى الساعة؟ متى تأتي الساعة؟ يجيبهم الله كما في قوله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا * إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا** ﴾ فهاهنا قال: « **متى الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل** » يعني لا علم لي بمجيئها، كما أنك لا تعلم متى تأتي فكذلك أنا، فهكذا أخبر، وَكَلَ علمها إلى الله؛ ولكنه أخبره ببعض أشراطِها، أشراطُها يعني علاماتها، قال: « **وسأخبرك عن أشراطها إذا ولدت الأمة ربتها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان** » هذه من علامات قربها.

الأول- « **إذا ولدت الأمة ربتها** » الأمة هي المملوكة، إذا وطئها سيدها، ثم بعد ذلك ولدت له أولادا -ذكورا وإناثا- وصار هؤلاء الأولاد يأمرون أمهم ويكلفونها ولا يحترمون أمهم، ويقولون: أنت مملوكة لوالدنا، فأنت مملوكة لنا. وكأنه إشارة إلى أن الأولاد في آخر الزمان -ذكورا وإناثا- لا يحترمون والديهم، يستخدم الرجل أمه، ويستخدم أباه، ويكلفهما ولا يعترف بحقهما، فهذا من أشراط الساعة.

الثاني- « **إذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان** » يعني البوادي الذين يرعون الإبل، والذين عادتهم أنهم يتبعونها في البراري، يتركون ذلك ويسكنون في البنيان، ينزلون في القرى فيتركون البدو ويتطاولون في البيوت، كل منهم يحاول أن يكون أطول من الآخر، ثم ذكر أن هذا من جملة ما أُخبر به؛ لقوله تعالى: ﴿ **فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا** ﴾ وأن علم الغيب لا يعلمه إلا الله، وأن مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، جمعها الله تعالى في آية في آخر سورة لقمان، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** ﴾ أي لا يعلمها غيره، متى تكون؟ ﴿ **وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ** ﴾ أي لا يعلم متى ينزل المطر إلا الله ﴿ **وَيَعْلَمُ مَا فِي**

الْأَرْحَامِ ﴾ أي لا يعلم ما في الأرحام -ذكورا أو إناثا- إلا الله ﴿ **وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا** ﴾ أي ما يدري الإنسان ما يأتيه بعد يومه، لا يدري ما حاصل عليه في اليوم الذي بعد يومه أو في الساعة التي بعد ساعته؛ لأنه لا يعلم الغيب ﴿ **ومَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ** ﴾ لا يدري بأي أرض وبأي بلاد يأتيه أجله.

يقول: ثم إن ذلك الرجل أدبر؛ يعني خرج، ولما اختفى عنهم قال: ردوه. فذهبوا ليردونه فلم يروا شيئا، لم يجدوه فقال: « **هذا جبريل ملك الوحي جاء يعلم الناس دينهم** » هكذا جعل النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا كله من أمر الدين.

أشار البخاري أيضا إلى حديث وفد عبد القيس ، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- جاءه وفد عبد القيس قبيلة من ربيعة كانت منازلهم في جهة البحرين ؛ يعني في الأحساء وفي القطيف وفي تلك الجهات، فلما جاءوا ليتعلموا قال لهم النبي -صلى الله عليه وسلم- : « **آمركم بالإيمان بالله. أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله...** » إلى آخره. يأتينا قريبا إن شاء الله.

الباب الذي بعده.

قال رحمه الله : باب

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْزَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ صَالِحٍ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّـهِ بْنِ عَبْدِ اللَّـهِ ، أَنَّ عَبْدَ اللَّـهِ بْنَ عَبَّاسٍ ، أَخْبَرَهُ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ ، « أَنَّ هِرَقْلَ ، قَالَ لَهُ : سَأَلْتُكَ هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لاَ ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ ، حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ القُلُوبَ لاَ يَسْخَطُهُ أَحَدٌ ».

« **الشَّـرْحُ** » :

جاءت هذه الجملة في حديث ذكره البخاري قبل كتاب الإيمان من قصة أبي سفيان والد معاوية ذهب مع قومه إلى الشام في تجارة فسمع بهم هرقل الذي هو ملك الروم، فأحضرهم وسألهم عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فسألهم عن أتباعه، أشراف الناس أو ضعفاؤهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم.

فقال: هم أتباع الرسل.

سأله: هل يزيدون أم ينقصون؟ فقال: بل يزيدون.

سأله: هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه؟ فقال: لا .

يقول: سألتك هل يرتد منهم أحد؟ هل يزيدون أم ينقصون؟

فذكرت أنهم يزيدون. وكذلك الإيمان حتى يتم، يعني أن الله تعالى يقذفه في القلوب، ثم يزيد أهله إلى أن يتم ما أمر الله به، وهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه. قلت: لا.

يقول: فعلمت أنه هكذا الإيمان، هكذا الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب ما يسخطه أحد.

فيدل على أن الإيمان الذي في القلب إذا امتلأ به القلب فإنه يحبه أهله ويركنون إليه ولا يسخطه أحد، فدل على أنه تُخالِط بشاشته القلوب.

قَالَ رَحِمَهُ اللَّـهُ :

بَابُ فَضْلِ مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ.

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ ، عَنْ عَامِرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ يَقُولُ : « الحَلاَلُ بَيِّنٌ ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ : كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى ، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّـهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً : إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ ».

« **الشَّـرْحُ** » :

جاء هذا الحديث في بيان الحلال والحرام، وبيان أن بينهما قسما مشتبها على كثير من الناس، فيقول -صلى الله عليه وسلم-: « **الحلال بين والحرام بين** » يعني: أمور الحلال واضحة بينة وكذلك الحرام، ويريد به المكاسب والمآكل والمشارب؛ لكن هناك « **أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس** » يظنها بعضهم حلالا وقد تكون حراما، فلأجل ذلك الذي تشتبه عليه عليه الابتعاد عنها، (اتقاء الشبهات) يعني: تركها. إذا كانت هذه المعاملة مشتبهة لا تدري هل هي حلال أو حرام؟ إذا كان هذا المال مشتبها لا تجزم بأنه حلال يمكن أنه حرام، فكيف تستبرئ منه؟ اتركه، اترك واتق الشبهات التي تخشى أن تكون من المحرمات.

« **من اتقى الشبهات** » يعني: توقاها وابتعد عنها فإن الله تعالى يسلمه. « **استبرأ لدينه وعرضه** » برئ دينه بحيث لا يكون فيه قادحا، وبرئ عرضه بحيث لا أحد يطعن عليه. ولا يقال: إنه يتعامل بكذا وكذا، هذه يمكن أنها ربا، هذه يمكن أنها غش، هذه يمكن أنها غرر، هذه يمكن أنها مخادعة، هذا خدع الناس وأخذ حلالهم وأموالهم بغير حق، فعليه أن يبتعد عن المشتبهات التي لا يظهر له أنها من الحلال ولا من الحرام، ولعله بذلك يبرأ دينه ويسلم من القوادح.

يقولون: « **وقع في الشبهات** » يعني: انهمك في الشبهات، أوشك أن يقع في الحرام، حري أن يقع في الحرام. وضرب له مثلا مثاله: إذا كان هناك أرض محمية فيها أعشاب وخضار وزهور، وجاء الراعي الذي معه غنم وأخذ يرعى حولها غنمه أو إبله، يمكن أنه يغفل والغنم بهائم تنظر إلى تلك الزهور وتلك الخضرة فتسعى وتقع فيها وهو غافل، فإذا وقع فيها جاء الحرس وأمسكوه، ما يضربون البهائم لأنها لا تعقل ولكن يضربون الراعي، لماذا قربت من هذا الحمى؟ أنت تعرف أنه محمي؛ فيقعون فيه.

هكذا مثل الذي يقع في هذه المشبهات ويتعاطاها، يمكن أن يكون بعضها من الحرام فيقع في الحرام فيعاقب.

لما ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- الحمى ذكر بعد ذلك أن هناك حمى لله، الملوك يتخذون حمى، يحمي هذا الملك هذه الأرض لدوابهم أو لنزهة يتنزهون فيها يحمونها لأجل مصالحهم، يمنعون من يرعى فيها غنما أو إبلا أو بقرا يمنعونه ويعاقبونه.

وإذا كان ملوك الدنيا لهم حمى فالله تعالى ملك الملوك له حمى، « **حمى الله محارمه** » فمن حماه الربا والرشوة والغرر والمخادعة؛ يعني: حرمها حتى أن يتجنبها العباد.

ومن حماه الزنا والسفور ومقدمات ذلك. ومن حماه في الأشربة الخمور والمسكرات وما أشبهها.

ومن حماه الأغاني والمزامير والملاهي وما أشبهها.

« **حمى الله محارمه** » سواء كانت هنا فيما بين العبد وبين ربه كالزنا والخمر، أو فيما بينه وبين عباده كالقتل والسباب.

تقدم لنا بالأمس قوله -صلى الله عليه وسلم- : « **سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر** » فهذا من حِمَى الله، حَمَى اللهُ تعالى حرمة المسلم؛ فحرم سبه حتى لا يصل السب إلى الغضب وإلى القتل وإلى الشقاق وإلى المضاربة، وكذلك أيضا حرم الأعراض، حرم انتهاك عرضه وقذفه في حالة غيبته ورميه بالفواحش ونحوها، فكل ذلك من حماه، « **حِمى الله محارمه** ».

بعد ذلك يقول: « **ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب** » المضغة: هي قطعة اللحم الصغيرة. يعني: أن القلب الذي في التجويف الأيسر من الصدر قطعة صغيرة؛ ولكن جعل الله صلاحها صلاحا للبدن، وفسادها فسادا للبدن، صلاحها هو استقامة هذه الفطرة وتمام هذا العقل استقامتها، وأما فسادها انحراف القلب وزيغه وامتلاؤه بالشكوك والشبهات، وسببها ركونه إلى المعاصي وإلى البدع وإلى المحدثات.

قَالَ رَحِمَهُ اللَّـهُ :

بَابٌ : أَدَاءُ الخُمُسِ مِنَ الإِيمَانِ.

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الجَعْدِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ ، قَالَ : كُنْتُ أَقْعُدُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ يُجْلِسُنِي عَلَى سَرِيرِهِ فَقَالَ : أَقِمْ عِنْدِي حَتَّى أَجْعَلَ لَكَ سَهْمًا مِنْ مَالِي فَأَقَمْتُ مَعَهُ شَهْرَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « مَنِ القَوْمُ ؟ ـ أَوْ مَنِ الوَفْدُ ؟ ـ » قَالُوا : رَبِيعَةُ .

قَالَ : « مَرْحَبًا بِالقَوْمِ ، أَوْ بِالوَفْدِ ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى » ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّـهِ إِنَّا لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ ، نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا ، وَنَدْخُلْ بِهِ الجَنَّةَ ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الأَشْرِبَةِ : فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ ، أَمَرَهُمْ : بِالإِيمَانِ بِاللَّـهِ وَحْدَهُ ، قَالَ : « أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّـهِ وَحْدَهُ » قَالُوا : اللَّـهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : « شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّـهِ ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ » وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ : « عَنِ الحَنْتَمِ وَالدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ وَالمُزَفَّتِ » ، وَرُبَّمَا قَالَ : « المُقَيَّرِ » وَقَالَ : « احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ ».

« الشَّـرْحُ » :

هذا حديث وفد عبد القيس قبيلة من ربيعة، وذلك لأن أكثر العرب الذين في الجزيرة من قبيلتين من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وقبيلة من مضر مضر بن نزار بن معد بن عدنان قريش ونحوهم من مضر، ومسيلمة وقبيلته من ربيعة، عبد القيس من ربيعة، وكانت منازل عبد القيس في أقصى البحرين في جهة البحرين وكان بينهم وبين مضر عداوات، كل من ظفر بأحد من تلك القبيلة قتله؛ أي: مضر إذا وجدوا أحدا من ربيعة قتلوه وربيعة كذلك، ولا يأمنون إلا في الأشهر الحرم التي هي شهور ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، في هذه الأشهر يأمنون؛ بحيث إن أحدهم يلقى قاتل أبيه فلا يقتله.

فذكر هؤلاء الوفد لما جاءوا إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– يبايعونه ويسلمون ويتعلمون قال: « **مرحبا بالوفد** » في هذا الحديث عن أبي جمرة أبو جمرة الضبعي تلميذ ابن عباس يقول: كنت أقعد مع ابن عباس يجلسني على سريره. كان يبلغ عنه لم يكن هناك مكبر، فكان أبو جمرة إذا تكلم ابن عباس بكلمة رفعها حتى يسمعها البعيدون؛ فقال له: أقم عندي حتى أجعل لك سهما من مالي. يعني: لما رأى له من الفائدة والمنفعة.

بعد ذلك يقول: أقمت عنده شهرين، وهو يسمع منه ويتعلم منه، حدثه ابن عباس بوفد عبد القيس لما جاءوا إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– حياهم وقال: « **من القوم أو من الوفد؟ فقالوا: ربيعة** » يعني: أننا من ربيعة، فقال: « **مرحبا بالقوم، أو مرحبا بالوفد** » المعنى واحد، الترحيب هو التحية والتوقير.

« **غير خزايا ولا ندامى** » أي: أنكم جئتم للتعلم فأبشروا فإنكم لا تكونون ممن أخزاهم الله، ولا تندمون على ما فعلتم.

فقالوا: « **يا رسول الله، إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام** » أي: لا نستطيع أن نقطع هذه المسافات إلا في الأشهر الحرم، بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، كانت منازل مضر في حدود العراق في شمال المملكة ويمتدون أيضا إلى الحجاز وما حولها، وكان أكثرهم لا يزالون كفارا.

يقولون: « **فمرنا بأمر فصل** » يعني: أخبرنا بخبر واضح نعمل به، « **نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة** » وسألوه عن أواني الأشربة بعدما حرمت الخمر، فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع، ما ذكر ابن عباس جميع التعاليم التي عُلِّموا بها؛ ذلك لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبرهم بالحلال والحرام، وأخبرهم بصفة العبادات، وأخبرهم بمقادير الزكاة، وأخبرهم بالجهاد، وأخبرهم بتحريم الخمر وتحريم الزنا وتحريم السرقة وتحريم قتل المسلم وغير ذلك.

فمما أمرهم به الإيمان بالله وحده، ثم فسره وذكر أنه أركان الإسلام؛ فتكون أربع، « **شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله** » فجعل هذا داخلا في الأربع وجعله من الإيمان؛ وذلك لأن الذي يشهد لله بالإلاهية لا بد أن يعبده، والذي يشهد لمحمد بالرسالة لا بد أن يتبعه، إذا قال: محمد رسول الله. أطاعه واتبعه، وإذا قال: لا إله إلا الله. عبد الله.

إقام الصلاة يعني: المواظبة عليها.

إيتاء الزكاة يعني: إخراجها من المال إذا كان عنده مال فيه الزكاة.

صيام رمضان يعني: .. التطوع.. بأدائه لله، أداء الخمس من المغنم يعني: إذا قاتلتم وغنمتم غنيمة فأخرجوا الخمس.

(أخرجوا الخمس) وهذا هو الشاهد حيث إن البخاري قال: أداء الخمس من الإيمان. فإخراج الخمس جعله النبي -صلى الله عليه وسلم- من خصال الإيمان.

يقول: ونهاهم عن أربع: « **عن الحنتم والدباء والنقير والمزفت، وربما قال: المقير** ».

هذه أواني يجعلون فيها ماء وتمرا، فخاف أن التمر يصير ذلك الماء خمرا حراما، فالحنتم: هو الذي يصنع من الطين وتجعل له رءوس ضيقة هذا الذي يسمى بالجرار، الجرة التي رأسها ضيق ووسطها واسع، إذا جعلوا فيها تمرا وماء ومكث فيها يوم أو نصف يوم يخاف أنه ينقلب خمرا، فهذا مما نهاهم عنه.

الدباء: القرع. نوع من القرع شبه الجرة التي رأسها دقيق، إذا تركت حتى تيبس صلبت قشرتها، وإذا صلبت أخذوا ما في جوفها من الحب ومن اللب واستعملوها، يجعلونها إناء للدهن، وقد يجعلون فيها تمرا وماء أو تمرا وعسلا فيتغير بسرعة لضيق فمها.

النقير: خشبة ينقرونها، قطعة من خشب أثل أو نحوه، يجعلون رأسها ضيقا ثم ينبذون فيها، ويخاف أنها تتغير الأشربة فيها.

المزفت: إناء من خشب أو إناء من حديد أو من نحاس يطلى بالزفت. وربما قال: « **المقير** » أي: القار. القار والزفت شيء واحد، هذا الأسود إذا طليت به هذه الأقداح أوشك أنها تغير ما يجعل فيها، فالشاهد أنه جعل أداء الخمس من الإيمان.

بَابٌ : مَا جَاءَ إِنَّ الأَعْمَالَ بِالنِّيَّةِ وَالحِسْبَةِ ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى

فَدَخَلَ فِيهِ الإِيمَانُ ، وَالوُضُوءُ ، وَالصَّلاَةُ ، وَالزَّكَاةُ ، وَالحَجُّ ، وَالصَّوْمُ ، وَالأَحْكَامُ ، وَقَالَ اللَّـهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ عَلَى نِيَّتِهِ . « نَفَقَةُ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ يَحْتَسِبُهَا صَدَقَةٌ » وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ ».

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّـهِ بْنُ مَسْلَمَةَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَالِكٌ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ ، عَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ قَالَ : « الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّـهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّـهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ ».

حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عَدِيُّ بْنُ ثَابِتٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّـهِ بْنَ يَزِيدَ ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ يَحْتَسِبُهَا فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ ».

حَدَّثَنَا الحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّـهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا ، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ ».

« **الشَّـرْحُ** » :

هذا أيضا دليل على أن الإيمان تدخل فيه أعمال القلب، فهو بوب على أن الأعمال بالنية والنية من عمل القلب، والحسبة هي الاحتساب.

« **ولكل امرئ ما نوى** » يعني: يعامله الله تعالى على قدر نيته، دخل في ذلك الإيمان الذي في القلوب فإنه على قدر النية.

والوضوء إذا غسل أعضاءه بنية رفع الحدث ارتفع؛ وإلا فإنه لا يرتفع إذا غسلها بنية النظافة أو بنية إزالة الكسل والنشاط. وكذلك الصلاة إذا صلى رياء فلا صلاة له، وإن صلى احتسابا قبلت.

وكذلك الزكاة إذا أخرجها للرياء والتمدح لم تقبل، وكذلك الحج إذا حج ليمدحه الناس نيته فاسدة، وكذلك الصوم إذا تمدح به فإنه يبطل صومه.

وكذلك الأحكام يعني: كل حكم قصد به التمدح ونحوه. فقال الله تعالى: ﴿ **قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ** ﴾ أي: على نيته.

وكذلك نفقة الرجل على أهله؛ إذا أنفق نفقة عادية وطلب الاحتساب فيها فإن الله تعالى يثيبه ويجعلها عملا صالحا.

وكذلك الجهاد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- : « **ولكن جهاد ونية** » يعني: أن الجهاد لا بد من النية فيه؛ أن ينوي به أن تكون كلمة الله هي العليا.

ذكر بعد ذلك حديث عمر بإسناده من طريق مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **الأعمال بالنية** » قد تقدم في أول الكتاب: « **إنما الأعمال بالنيات** » إنما تكون للحصر، ولما جمع الأعمال جمع النيات، وهاهنا أفرد النية يعني: الأعمال معتبرة بالنية التي في القلب، وهناك قال: « **وإنما لكل امرئ ما نوى** » هاهنا قال: « **ولكل امرئ ما نوى** » يعني: أن نيته على حسب ما في قلبه له ما نوى، فإن نوى الأجر آجره الله، وإن نوى الرياء فلا أجر له.

مثل بعد ذلك بالهجرة، قيل: إن رجلا عشق امرأة يقال لها: أم قيس فهاجر لأجل أن يتزوجها لا لأجل الفرار بدينه، فسمي مهاجر أم قيس .

فهو يقول – عليه السلام– : « **فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله** » يعني: لطلب الأجر ولأجل الفرار بدينه من الفتن، « **فهجرته إلى الله ورسوله** » وأجره على الله، « **ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها** » أي: مصلحة دنيوية كوظيفة أو تجارة، « **أو امرأة يتزوجها** » لأجل أن يتزوجها وتحصل له كزوجة، « **فهجرته إلى ما هاجر إليه** » أي: هجرته إلى الدنيا، أو إلى المرأة ليست هجرته هجرة إسلامية.

بعد ذلك ذكر حديثا عن أبي مسعود البدري أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: « **إذا أنفق الرجل على أهله** » يعني: على زوجته وعلى أولاده، يحتسب هذه النفقة يطلب الأجر فيها، « **فنفقته صدقة** » ولو كان أمرا عاديا، ولكن مع النية الصالحة يثيبه الله.

ذكر بعد ذلك قطعة من حديث سعد بن أبي وقاص فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– له: « **إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل في في امرأتك** » يعني: حتى ما تطعم زوجتك إذا كنت تبتغي بها وجه الله فلك أجر على ذلك.

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ : لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » .

وَقَوْلِهِ تَعَالَى :﴿ إِذَا نَصَحُوا لِلَّـهِ وَرَسُولِهِ ﴾.

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّـهِ ، قَالَ : « بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ ».

حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ ، عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلاَقَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّـهِ ، يَقُولُ يَوْمَ مَاتَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ، قَامَ فَحَمِدَ اللَّـهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : عَلَيْكُمْ بِاتِّقَاءِ اللَّـهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَالوَقَارِ ، وَالسَّكِينَةِ ، حَتَّى يَأْتِيَكُمْ

أَمِيرٌ ، فَإِنَّمَا يَأْتِيكُمُ الآنَ . ثُمَّ قَالَ : اسْتَعْفُوا لِأَمِيرِكُمْ ، فَإِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ العَفْوَ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ قُلْتُ : أُبَايِعُكَ عَلَى الإِسْلاَمِ فَشَرَطَ عَلَيَّ : « وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ » فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا ، وَرَبِّ هَذَا المَسْجِدِ إِنِّي لَنَاصِحٌ لَكُمْ ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَنَزَلَ.

« **الشَّـرْحُ** » :

« **الدين النصيحة** » يعني: النصيحة هي إخلاص المودة، يقولون: نصح العسل. يعني: صفاه وخلصه من الشوائب، والمخلص هو الصافي، والناصح هو المخلص.

النصيحة لله تعالى هي الإيمان به وعبادته، والنصيحة للنبي -صلى الله عليه وسلم- هي تصديقه واتباعه، والنصيحة لأئمة المسلمين يعني: ملوك الإسلام هي طاعتهم في غير معصية وذكر محاسنهم والاعتذار عن مساوئهم، والنصيحة لعامة المسلمين إرشادهم وتوجيههم وتعليمهم.

... تميم الداري أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: « **الدين النصيحة. قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم** » وجاء البخاري بحديث جرير جرير بن عبد الله البجلي كان من أجلاء الصحابة، ذكر أنه أسلم متأخرا، يقول: « **بايعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم** » النصيحة لكل المسلمين، لقنه ذلك حتى يكون مخلصا لكل مسلم، فالنصيحة من الإيمان.

وفي هذه القصة الرواية الثانية كان المغيرة بن شعبة أميرا على الكوفة في العراق فلما مات لا بد أنهم يحتاجون إلى أمير بدله، كان جرير عندهم وكان من الصحابة وكان من أسنهم وأفضلهم، فعند ذلك قام وصعد المنبر وخطبهم حمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له. أي: اتقوا الله تعالى واعبدوه وحده لا شريك له، وعليكم بالوقار الذي هو التواضع والتؤدة والتأني، وعليكم بالسكينة التي هي عدم التشويش وعدم الحركة وعدم الكلام الذي فيه ضرر، اسكنوا واحترموا إخوانكم حتى يأتيكم أمير بعد أميركم، حتى يُرسَل إليكم أمير، وكان الملك في ذلك الوقت هو معاوية الذي هو أمير المؤمنين.

يقول: فإنما يأتيكم الآن. يعني: إذا علم بأن أميركم مات فلا بد أنه يرسل إليكم أمير يتولى أموركم، فاسمعوا له وأطيعوا ولا تختلفوا، واصبروا واسكنوا حتى يأتيكم، ثم قال: استعفوا لأميركم الذي مات استعفوا له. يعني: اطلبوا له العفو من الله تعالى قولوا: اللهم اعف عنه فإنه كان يحب العفو، يعني: كأنه كان حليما يعفو عمن أساء إليه.

ثم ذكر جرير يقول: أما بعد: « **فإني أتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- فقلت: يا رسول الله أبايعك على الإسلام** » لما كان -عليه الصلاة والسلام- كلما جاءه من يبايعه شرط عليه شروطا كذا وكذا، يقول: فقال: شرط علي « **النصح لكل مسلم**» فالتزم جرير بالنصح لكل مسلم.

يقول: بايعته على ذلك، ثم حلف بقوله: ورب هذا المسجد إني لناصح لكم، ثم استغفر ونزل، فدل على أن النصيحة داخلة في مسمى الإيمان.

نكتفي بهذا والله أعلم وصلى الله على محمد .